الأمير السعيد
وحكايات أخرى

أوسكار وايلد

الأمير السعيد وحكايات أخرى

تأليف
أوسكار وايلد

ترجمة
سارة طه علام

مراجعة
محمد حامد درويش

هنـــداوي

الأمير السعيد وحكايات أخرى

أوسكار وايلد

The Happy Prince and Other Tales

Oscar Wilde

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شيبت ستريت، ويندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ليلى يسري

الترقيم الدولي: ٤ ١٩٠٠ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر الكتاب الأصلي باللغة الإنجليزية عام ١٨٨٨.
صدرت هذه الترجمة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٩.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب، وتصميم الغلاف، والترجمة العربية لنص هذا الكتاب مُرَخَّصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المُصنَّف، الإصدار ٤,٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

الأمير السعيد	٧
العندليب والوردة	١٧
العملاق الأناني	٢٣
الصديق المخلص	٢٧
الصاروخ الاستثنائي	٣٩

الأمير السعيد

في موضعٍ عالٍ فوق المدينة، على عمود طويل، كان تمثال الأمير السعيد يقف منتصبًا، مطليًّا بالكامل برقائق الذهب الخالص، ووُضِع له حجرا زفير برَّاقان في موضع العينَين، بينما كانت تلمع على مقبض سيفه ياقوتة حمراء كبيرة.

كان محطَّ إعجاب شديد حقًّا. علَّقَ أحد أعضاء مجلس المدينة، الذي كان يرغب في أن يُشتَهر بتذوُّقه الفني، قائلًا: «إنه يضاهي دوَّارة الرياح جمالًا.» ولكنه أضاف، خشية أن يحسبه الناس غير عملي، وهو في الحقيقة ليس كذلك، قائلًا: «ولكنه لا يضاهيها فائدةً.»

سألت أمٌّ عاقلة ولدها الصغير، الذي كان يطلب طلبات غير معقولة، قائلةً: «لِمَ لا تكون مثل الأمير السعيد؟ إنه لا يحلم أبدًا بالحصول على أي شيء.»

تمتم رجل مُحبَطٌ وهو يحدِّق إلى التمثال الرائع قائلًا: «يَسُرُّني أن يكون موجودًا في هذا العالم شخص سعيد هكذا.»

بينما قال أطفال المؤسسة الخيرية، وهم يخرجون من الكاتدرائية مرتدين عباءاتهم القرمزية الزاهية ومَرايلهم البيضاء النظيفة: «إنه يبدو تمامًا كمَلاك.»

فسألهم أستاذ الحساب قائلًا: «كيف تعرفون ذلك وأنتم لم تَرَوْا واحدًا من قبل؟»

ردَّ الأطفال قائلين: «أوه! ولكننا رأيناهم، في أحلامنا.» فعبس أستاذ الرياضيات وبدا شديد الصرامة؛ إذ لم يكن يستحسن أن يحلم الأطفال.

في إحدى الليالي حَلَّق فوق المدينة طائر سَنَوْنو صغير. كان أصدقاؤه قد غادروا إلى مصر قبل ستة أسابيع، ولكنه تخلَّف عنهم؛ إذ كان مغرَمًا بنبتة القيصوب الأجمل على الإطلاق. قابلها في بداية الربيع بينما كان يطير مع مجرى النهر مطاردًا فراشة صفراء كبيرة، فانجذب إلى خَصْر النبتة النحيل حتى إنه توقَّف ليتحدَّث إليها.

«هل لي أن أحبَّكِ؟» هكذا قال السَّنَوْنو الذي كان يحب الدخول في صُلْب الموضوع مباشرةً، وانحنت له نبتة القيصوب انحناءة كبيرة. فطار السَّنَوْنو حولها في دوائر، ولمس الماء بجناحَيه مُحدِثًا تموُّجاتٍ فضيةً على صفحته. كانت هذه هي مغازلته لها، والتي استمرت طوال فصل الصيف.

غرَّدت بقية طيور السَّنَوْنو قائلة: «إنها علاقة سخيفة؛ فهي لا تملك مالًا، ولها علاقات كثيرة للغاية.» وبالفعل كان النهر يَعجُّ بنباتات القيصوب. وعندما حَلَّ الخريف طارت جميعها بعيدًا.

شعر السَّنَوْنو بالوحدة بعدما طارت كل الطيور بعيدًا، وبدأ يسأم من معشوقته. قال: «إنها لا تتحدث أبدًا، وأخشى أن تكون لَعوبًا، فهي دائمًا ما تغازل الرِّيح.» وبطبيعة الحال، كانت النبتة تنحني برشاقة أخَّاذة كلما هبَّت الرياح. تابع السَّنَوْنو قائلًا: «أعترف أنها تفضِّل حياة الاستقرار، ولكنني أحبُّ السفر، وبالتبعية، لا بد أن تحب زوجتي السفر أيضًا.»

فقال لها أخيرًا: «هل تأتين معي؟» ولكن نبتة القيصوب هزَّت رأسها؛ إذ إنها كانت شديدة التعلُّق بموطنها.

صاح السَّنَوْنو قائلًا: «لقد كنتِ تعبثين بي! سأرحل إلى الأهرامات، وداعًا.» وطار بعيدًا.

ظلَّ يطير طيلة اليوم، وبحلول الليل وصل إلى المدينة. قال السَّنَوْنو: «أين سأبيتُ ليلتي؟ آمُلُ أن تكون المدينة قد اتَّخذت الاستعدادات اللازمة.»

ثم رأى التمثال على العمود الطويل.

فصاح قائلًا: «سأبيتُ هنا، إنه موقع جيِّد به الكثير من الهواء النقي.» وحَطَّ بين قدمَي الأمير السعيد.

حدَّث نفسه بهدوءٍ، وهو ينظر حوله، قائلًا: «لديَّ غرفة نوم ذهبية.» واستعدَّ للخلود إلى النوم، ولكن في اللحظة التي كان فيها يضع رأسه أسفل جناحه، سقطَتْ عليه قطرة ماء كبيرة. فصاح قائلًا: «يا له من أمر غريب! لا توجد سحابة واحدة في السماء، والنجوم واضحة وساطعة، ولكنها تمطر على الرغم من ذلك. إن الطقس في شمال أوروبا مُرِيع حقًّا. اعتادت نبتة القيصوب أن تحب المطر، إلا أن ذلك كان أنانية منها فحسب.»

ثم سقطت قطرة أخرى.

فقال: «ما نَفْع التمثال إن لم يقِ من المطر؟ لا بد أن أبحث عن أنبوب مدْخنة جيِّد.» وعَزَمَ على أن يطير بعيدًا.

ولكن قبل أن يبسط جناحَيه، سقطت قطرة ثالثة، فنظر إلى أعلى ورأى، أوه! ما الذي رآه؟

كانت عينا الأمير السعيد مُغرَوْرِقتَين بالدموع، وكانت الدموع تنهمر على وجنتَيه الذهبيتَين. كان وجهه شديد الجمال في ضوء القمر، حتى إن السَّنَوْنو الصغير شَعَرَ نحوه بالشَّفَقة.

سأله السَّنَوْنو قائلًا: «مَن أنت؟»

فردَّ التمثال: «أنا الأمير السعيد.»

فسأله السَّنَوْنو: «ولماذا تبكي إذن؟ لقد أغرقتني تمامًا بالماء.»

أجاب التمثال قائلًا: «عندما كنتُ حيًّا ولي قلبٌ بشريٌّ، لم أعلم كُنْه الدموع؛ إذ عِشْت في قصر «سان سوسي»، حيث لا يُسْمَح للحزن بدخوله. في النَّهار كنت ألعب مع رفاقي في الحديقة، وفي المساء أقود حفلات الرقص في القاعة الكبرى. كان يحيط بالحديقة جدار عالٍ للغاية، ولكنني لم أهتمَّ قطُّ بالسؤال عمَّا يقع خلفه، كل ما يخصُّني كان شديد الجمال. ولقَّبتني حاشيتي بالأمير السعيد، ولقد كنتُ بالفعل سعيدًا، إن كانت المُتَع تعني السعادة. هكذا عِشْتُ، وهكذا مُتُّ، والآن ها قد وضعوني هنا على ارتفاع شاهق بعد موتي، بحيث صِرْتُ أرى قُبْح مدينتي وكل شقائها، وعلى الرغم من أن قلبي مصنوع من الرصاص، فلا أملك خيارًا سوى البكاء.»

«ماذا! أليس مصنوعًا من الذهب الخالص؟» قال السَّنَوْنو مُحدِّثًا نفسه. كانت لباقة السنونو تمنعه من إبداء أي ملاحظات شخصية.

تابع التمثال حديثه بصوت موسيقيٍّ خفيض: «بعيدًا، بعيدًا، في شارع صغير، يوجد منزل فقير. إحدى نوافذه مفتوحة، ومن خلالها أرى امرأةً جالسة على طاولة. وجهها نحيل ومُنهَك، ويَداها محمرَّتان خَشِنتان تغطِّيهما وَخَزات الإبرة؛ وذلك لأنَّها تعمل حائكة. إنها تُطرِّز زهور الآلام على ثوب من الساتان لأجمل وصيفات الملكة؛ كي ترتدِيَه في الحفل الملكي الراقص القادم. في سرير في زاوية الغرفة، يستلقي ولدها الصغير مريضًا. إنه يعاني من الحُمَّى ويطلب بعض البرتقال، ولكن ليس لديها ما تمنحه سوى مياه النهر؛ ولذلك فهو يبكي. أيُّها الطائر، يا طائر السَّنَوْنو، أيُّها السَّنَوْنو الصغير، هل يمكنك أن تنتزع الياقوتة من مقبض سيفي وتجلبها إليها؟ فقدماي مثبَّتتان في هذه القاعدة ولا يمكنني التَّحرُّك.»

فقال السَّنَوْنو: «إن أصدقائي ينتظرونني في مصر، وهم يطيرون مع مجرى نهر النيل صعودًا وهبوطًا، ويتحدَّثون مع زهور اللوتس الكبيرة. سيخلدون للنوم عمَّا قريب في مقبرة الملك العظيم. يقبع الملك نفسه هناك داخل تابوته المُزَيَّن. إنه ملفوف بكَتَّان أصفر ومُطيَّب بالعطور. حول رقبته سلسلة من أحجار اليَشْم الخضراء الفاتحة، ويداه كأوراق الأشجار الذابلة.»

قال الأمير: «أيُّها السَّنَوْنو، يا طائر السَّنَوْنو الصغير، هل يمكنك أن تبقى معي ليلةً واحدة وتكون رسولي؟ إن الصَّبِيَّ عطشان للغاية، والأم تشعر بحزن بالغ.»

أجاب السَّنَوْنو قائلًا: «لا أعتقد أنني أحب الأولاد. في الصيف الماضي، عندما كنتُ أقيم على النهر، كان هناك ولدان وَقِحان، ابنا الطحَّان، وكانا دائمًا ما يرشقانني بالحجارة. لم يصيباني قطُّ بالطبع؛ فنحن طيور السَّنَوْنو نطير ببراعة شديدة؛ فلا تصيبنا الحجارة، وإلى جانب ذلك، فأنا أنحدر من عائلة تُشتَهر بخفَّة الحركة؛ ومع ذلك، فهذا الفعل كان علامةً على عدم الاحترام.»

ولكن الأمير السعيد بدا شديد الحزن، حتى إن السَّنَوْنو الصغير رثى لحاله. قال: «إن الطقس شديد البرودة هنا، ولكنني سأبقى معك ليلة واحدة، وسأكون رسولك.»

فقال الأمير: «أشكرك أيُّها السَّنَوْنو الصغير.»

وهكذا التقط السَّنَوْنو الياقوتة مُخرِجًا إيَّاها من سيف الأمير، وطار بعيدًا فوق أسطح المدينة، وهو يحملها في منقاره.

مَرَّ ببرج الكاتدرائية المنحوت عليه الملائكة الرخامية البيضاء. ومَرَّ بالقصر وسمع أصوات الرقص. خرجت فتاة جميلة إلى الشُّرفة مع حبيبها الذي قال لها: «كم هي رائعة تلك النجوم! وكم هي رائعة قوَّة الحب!»

أجابت: «آمُلُ أن يكون ثوبي جاهزًا لحفلة البلاط الملكي في الوقت المناسب. لقد أمَرتُ أن تُطرَّز عليه زهور الآلام؛ ولكن الحائكات كسولات جدًّا.»

مَرَّ فوق النهر ورأى الفوانيس مُعلَّقة على صواري السفن؛ ومَرَّ بحي اليهود، ورأى اليهود كبار السِّنِّ يتساومون، ويَزِنونَ النقود في موازين نحاسية. وأخيرًا، وصل إلى المنزل الفقير ونظر داخله. كان الصبي يهتزُّ من الحُمَّى على سريره، والأم قد غالبها النوم من شدَّة التعب. حجل السَّنَوْنو داخلًا المنزل، ووضع الياقوتة الكبيرة على الطاولة بجانب كُشتُبان المرأة. ثم طار برقَّة حول السرير، وهو يحرِّك الهواء على جبهة الصبي بجناحَيه. فقال الصبي: «كم أشعر ببرودة منعشة. لا بد أنني أتحسَّن.» واستغرق في نوم هانئ.

ثم طار السَّنَوْنو إلى الأمير السعيد، وأخبره بما فعل. وعلَّقَ قائلًا: «إنه أمر غريب، ولكنني أشعر بالدفء الشديد الآن، على الرغم من أن الجوَّ شديد البرودة.»

فقال الأمير: «ذلك لأنك قُمْت بصنيع طيِّب.» بدأ السَّنَوْنو الصغير في التفكير، ثم غفا. فدائمًا ما كان التفكير يجعله يشعر بالنعاس.

عند بزوغ الفجر طار السَّنَوْنو هابطًا نحو النهر وتحمَّم. قال أستاذ علم الطيور بينَما كان يعبر الجسر: «يا لها من ظاهرة رائعة، طائر سَنَوْنو في الشتاء!» وكتب مقالة طويلة حول هذا الموضوع للصحيفة المحلية. اقتبس الجميع منها، فقد كانت مليئة بالكلمات الصعبة التي لم يستطيعوا فهمها.

قال السَّنَوْنو: «الليلةَ سأذهب إلى مصر.» وكانت معنوياته مرتفعة؛ إذ كان يتطلَّع لهذا الأمر. زار السَّنَوْنو كل المعالم الأثرية العامة، واستقرَّ مدةً طويلة على قِمَّة برج الكنيسة. أينما ذهب كانت العصافير تزقزق، وتقول لبعضها الآخر: «يا له من غريبٍ متميِّز.» فكان يسعد بنفسه كثيرًا.

عندما صار القمر عاليًا في السماء طار السَّنَوْنو عائدًا إلى الأمير. وصاح قائلًا: «هل تريد أن أنفِّذ لك أي مَهَمَّة في مصر؟ سأشرع لتوِّي في رحلتي.»

قال الأمير: «أيُّها السَّنَوْنو، يا طائر السَّنَوْنو الصغير، هلَّا تبقى معي ليلةً أخرى؟»

فأجاب السَّنَوْنو: «أصدقائي ينتظرونني في مصر. غدًا سيطيرون إلى شَلَّال النيل الثاني. هناك ينام فرس النهر بين نباتات البردي، بينما يجلس الإله ممنون على عرش جرانيتيٍّ كبير يُراقب النجوم طوال الليل، وعندما تتألَّق نجمة الصباح يُطلِق صيحة فرح واحدة، ثم يصمت. عند الظهيرة، تهبط الأسود الصفراء إلى حافَّة الماء لتشرب. إن لها عيونًا خضراء كالزَّبَرْجد، وزئيرها أعلى من هدير الشَّلَّالات.»

قال الأمير: «أيُّها السَّنَوْنو، يا طائر السَّنَوْنو الصغير، بعيدًا في الطرف الآخر من المدينة أرى شابًّا في عُلِّيَّة أحد المنازل. إنه يجلس مَحنيًّا على مكتب مغطًّى بالأوراق، وفي كوب بجانبه صُحبَةٌ من ورود بنفسج ذابلة. شعره بُنيٌّ مُموَّج، وشفتاه في حُمرة الرُّمان، وعيناه كبيرتان وحالمتان. إنه يحاول الانتهاء من مسرحية يُعِدُّها للمخرج المسرحي، ولكنه يشعر ببرد شديد يعوقه عن متابعة الكتابة. لا توجد نار في الموقد، وقد فقد الوعي من الجوع.»

قال السَّنَوْنو الذي كان حقًّا ذا قلب طيِّب: «سأبقى معك ليلةً واحدة أخرى، هل آخذ له ياقوتة أخرى؟»

قال الأمير: «مع الأسف! لم يَعُد لديَّ ياقوت. كل ما تبقَّى لديَّ هو عيناي. إنهما مصنوعتان من الزفير النادر الذي جُلِب من الهند قبل ألف عام. اقتلِع واحدةً منهما وخُذْها إليه. سيبيعها للصائغ ويشتري طعامًا وحطبًا، وينتهي من كتابة مسرحيته.»

قال السَّنَوْنو: «لا يمكنني فعل ذلك يا عزيزي الأمير.» وشَرَع في البكاء.

قال الأمير: «أيُّها السَّنَوْنو، يا طائر السَّنَوْنو الصغير، افعل ما آمرك.»

اقتلع السَّنَوْنو عين الأمير، وطار بعيدًا متجهًا نحو العُلِّيَّة التي يسكن فيها الطالب. كان من السهل دخولها، إذ كان يوجد ثقب في السقف، اندفع من خلاله داخلًا إلى الغرفة. كان الشاب يدفن رأسه بين يدَيه، فلم يسمع رفرفة جناحَي الطائر، وعندما رفع رأسه، وجد حجر الزفير الرائع فوق زهور البنفسج الذابلة.

فصاح قائلًا: «لقد بدأتُ أصبح موضع تقدير، لا بد أن هذه من مُعجَب كبير. الآن يمكنني أن أنهيَ مسرحيتي.» وبدا في غاية السعادة.

في اليوم التالي، طار السَّنَوْنو إلى الميناء، وجلس على صاري إحدى السفن الكبيرة، يشاهد البَحَّارة وهم يسحبون صناديق كبيرة من مُستودَع السفينة بالحبال. كانوا يصيحون مع خروج كل صندوق قائلين: «هيلا هوب!» صاح السَّنَوْنو قائلًا: «أنا ذاهب إلى مصر.» ولكن لم يلتفت إليه أحد، وعندما صار القمر عاليًا في السماء، طار عائدًا إلى الأمير السعيد.

صاح قائلًا: «جئتُ لأودِّعَك!»

فردَّ الأمير: «أيُّها السَّنَوْنو، يا طائر السَّنَوْنو الصغير هلَّا تبقى معي ليلةً أخرى؟»

فأجاب السَّنَوْنو قائلًا: «إنَّنا في فصل الشتاء، وقريبًا ما ستحلُّ هنا الثلوج الباردة. أمَّا في مصر، فالشمس تبعث الدفء على أشجار النخيل الخضراء، وتستلقي التماسيح في الطين وتنظر حولها في كسل. يبني أصدقائي عشًّا في معبد بعلبك، ويراقبهم الحمام الوردي والأبيض ويُصدِر هديلًا لبعضه الآخر. لا بُدَّ أن أتركك يا عزيزي الأمير، ولكنني لن أنساك أبدًا، وفي الربيع القادم، سأعود إليك جالبًا جوهرتَين جميلتَين بدلًا من هاتَين اللَّتَين فقدتَهما. ستكون الياقوتة التي سأُحضرها لك أشدَّ حُمرةً من الورود، وسيكون حجر الزفير في زُرقَة البحر الكبير.»

قال الأمير السعيد: «في الميدان بالأسفل تقف فتاة صغيرة تبيع الثقاب. لقد وقع الثقاب منها في البالوعة، وتلف كلُّه. سيضربها أبوها إن لم تجلب بعض المال إلى المنزل، وها هي تبكي. إنها لا تملك حذاءً ولا جوارب طويلة، ورأسها الصغير حاسر. اقتلع عيني الأخرى، وأعطِها لها؛ حتى لا يضربها والدها.»

قال السَّنَوْنو: «سأبقى معك ليلةً واحدة أخرى، ولكن لا يمكنني اقتلاع عينك. ستصبح أعمى إن فعلتُ ذلك.»

قال الأمير: «أيُّها السَّنَوْنو، يا طائر السَّنَوْنو الصغير، افعل ما آمرك.»

وهكذا اقتلع السَّنَوْنو عين الأمير، واندفع طائرًا لأسفل وهو يحملها. مَرَّ بسرعة أمام الفتاة الصغيرة ودَسَّ الجوهرة خلسةً في كَفِّ يدها. صاحت الفتاة قائلة: «يا لها من قطعة زجاج جميلة.» ثم ركضت إلى المنزل وهي تضحك.

ثم عاد السَّنَوْنو للأمير، وقال: «لقد أصبحت أعمى الآن، لذا سأبقى معك للأبد.»

فقال الأمير المسكين: «لا أيُّها السَّنَوْنو الصغير. لا بد أن تذهب إلى مصر.»

فرد السَّنَوْنو: «سأبقى معك للأبد.» ثم نام عند قدمَي الأمير.

جلس السَّنَوْنو طوال اليوم التالي على كتف الأمير، وقَصَّ عليه حكايات عمَّا شاهده في الأراضي الغريبة. أخبره عن طيور أبي منجل الحمراء التي تقف في صفوف طويلة على ضفاف النيل، وتلتقط السمك الذهبي بمناقيرها؛ وعن أبي الهول، القديم قِدَم العالم، الذي يعيش في الصحراء، ويعلم كل شيء، وعن التُّجَّار الذين يمشون ببطء إلى جانب جِمَالهم، ويحملون حَبَّات الكهرمان في أيديهم؛ وعن ملك جبال القمر، ذي البشرة السوداء كخشب الآبنوس، ويعبد بلورةً كبيرة؛ وعن الثعبان الأخضر الضَّخم الذي ينام في نخلة، والذي يتولى عشرون كاهنًا إطعامه كعك العسل؛ وعن الأقزام الذين يُبحرون في بحيرة كبيرة على أوراق مُسطَّحة ضخمة، ودائمًا في حالة حرب مع الفراشات.

قال الأمير: «يا عزيزي السَّنَوْنو الصغير، إنك تحكي لي عن أشياء مدهشة، ولكن ما يُدهِشُ أكثر من أي شيء هو معاناة الرجال والنساء. لا يوجد لغز أعظم من البؤس. طِرْ فوق مدينتي، أيُّها السَّنَوْنو الصغير، وأخبرني بما تراه هناك.»

وهكذا طار السَّنَوْنو فوق المدينة الضخمة، وشاهد الأغنياء يمرحون في بيوتهم الجميلة، بينما كان المُتسوِّلون جالسين عند البوابات. طار في الأزِقَّة المظلمة، ورأى الوجوه البيضاء الشاحبة للأطفال الجائعين وهي ترمق الشوارعَ المظلمة بوهن. وأسفل قنطرة أحد الجسور كان صبِيَّان صغيران يرقدان وهما يحتض أحدهما الآخر محاولَين أن يُبقيا الدفء في جسدَيهما. قالا: «كم نحن جائعان.» فصاح الحارس قائلًا: «لا يجوز لكما الاستلقاء هنا.» فخرجا هائمَين على وجهَيهما في المطر.

ثم طار السَّنَوْنو عائدًا إلى الأمير، وأخبره بما رآه.

فقال الأمير: «أنا مغطًّى بالذهب الخالص. لا بُدَّ أن تنزعه عني، رقاقةً تِلْو الأخرى، وتعطيه لفقراء قومي؛ فدائمًا ما يظن الأحياء أن الذهب يمكن أن يجعلهم سعداء.»

التقط السَّنَوْنو رقاقات الذهب الخالص منتزعًا إيَّاها واحدةً تِلْو الأخرى، حتى بدا الأمير السعيد باهتًا ورماديًّا للغاية. أعطى الفقراءَ رقاقة تِلْو الأخرى من الذهب الخالص، فتورَّدت وجوه الأطفال، وصاروا يضحكون ويلعبون في الشارع. وهلَّلوا قائلين: «لدينا خبز الآن!»

ثم جاء الثلج، ومن بعده حَلَّ الصقيع. بدتِ الشوارع وكأنها مصنوعة من الفضة؛ إذ كانت شديدة الإشراق واللمعان؛ بينما تدلَّت كتل ثلجية طويلة وكأنَّها خناجر بلورية من أفاريز المنزل، وكان الجميع يتحرَّكون هنا وهناك وهم يرتدون الفراء، وارتدى الصِّبْية الصغار قبعاتٍ قرمزيةً وتزلَّجوا على الجليد.

ازداد شعور السَّنَوْنو الصغير المسكين بالبرودة أكثر فأكثر، ولكنه لم يكن ليترك الأمير؛ فقد كان يحبُّه كثيرًا. كان يلتقط الفُتات من أمام باب الخَبَّاز عندما لا يكون منتبهًا، ويرفرف بجناحَيه محاولًا أن يُبقي نفسه دافئًا.

ولكنه عرف في النهاية أنه سوف يموت. كان يمتلك من القوة ما يكفي بالكاد لأن يطير مرتفِعًا إلى كتف الأمير مرةً واحدةً أخرى. همهم السَّنَوْنو قائلًا: «وداعًا عزيزي الأمير! هل تسمح لي بتقبيل يدك؟»

فقال الأمير: «أنا سعيد لأنك ستذهب إلى مصر أخيرًا أيُّها السَّنَوْنو الصغير. لقد مكثت هنا طويلًا. ولكن يجب أن تُقبِّلني على شفتَيَّ، لأني أحبك.»

قال السَّنَوْنو: «لستُ ذاهبًا إلى مصر، بل إلى دار الموت. الموت هو شقيق النوم، أليس كذلك؟!»

وقبَّل الأميرَ السعيدَ على شفتَيه وسقط ميتًا عند قدمه.

في تلك اللحظة، صدَر صوتُ تصدُّعٍ غريب داخل التمثال، كما لو كان شيء ما قد انكسر. الحقيقة أن القلب الرصاصي قد انفلق نصفَين؛ إذ كان بلا شك صقيعًا لا يُحتَمل.

باكرًا صباح اليوم التالي، كان العمدة يسير في الميدان بالأسفل مع أعضاء مجلس المدينة، وعندما مَرُّوا بالعمود، نظر إلى الأعلى نحو التمثال وقال: «يا إلهي! كم يبدو الأمير السعيد مُهْتَرِئًا!»

فصاح أعضاء مجلس المدينة الذين كانوا دائمًا ما يوافقونه في الرأي قائلين: «إنه مهترئٌ بالفعل.» وساروا نحو التمثال ليتفحصوه.

قال عمدة المدينة: «لقد سقطت الياقوتة من سَيْفه، واختفت عيناه، ولم يَعُد ذهبيًّا. إنه يبدو أفضل بقليلٍ من الشَّحَّاذين!»

ردَّد أعضاء مجلس المدينة قائلين: «أفضل بقليلٍ من الشَّحَّاذين!»

أردف العمدة قائلًا: «وها هو طائر ميت عند قدمه. في الواقع لا بُدَّ أن نُصدر بيانًا يفيد بأنه ليس مسموحًا للطيور بالموت هنا.» فدوَّن أمين سر المدينة ملحوظةً باقتراحه.

ومن ثَمَّ، هدموا تمثال الأمير السعيد. وقال أستاذ الفنون بالجامعة: «ما دام لم يَعُد جميلًا، فإنه لم يَعُد مفيدًا.»

بعد ذلك صهروا التمثال في فرنٍ، وعقد العمدة اجتماعًا لمجلس البلدية لتقرير ما سيُفْعَل بالمَعْدِن. وقال: «لا بُدَّ أن يكون لدينا تمثال آخر، بالطبع، وسوف يكون تمثالًا لي.»

فقال كل واحد من أعضاء مجلس المدينة وهم يتشاجرون: «بل لي.» وكان آخر ما سمعته عنهم أنهم ما زالوا يتشاجرون.

قال مُشرِف العُمَّال في مَسْبَك المعادن: «يا له من أمر غريب! هذا القلب الرصاصيُّ المكسور لا يذوب في نيران الفرن. لا بُدَّ أن نتخلَّص منه.» وهكذا ألقوا به على كومة من الغبار حيث كان يرقد السَّنَوْنو الميت أيضًا.

قال الرَّبُّ لأحد ملائكته: «أحضر لي أثمن شيئَين في المدينة.» فأحضر له الملاكُ القلبَ الرصاصيَّ والسَّنَوْنو الميت.

فقال الرَّبُّ: «لقد أصبتَ الاختيار؛ فهذا الطائر الصغير سيُغَرِّد في حدائق جَنَّتي إلى الأبد، وسَيُسَبِّحُ لي الأمير السعيد في مدينتي الذهبية.»

العندليب والوردة

صاح الطالب الشابُّ قائلًا: «لقد قالت إنَّها سترقص معي إذا أحضرتُ لها ورودًا حمراءَ، ولكن لا توجد وردة حمراء واحدة في حديقتي كلها.»

سمعَتْه أنثى العندليب من عُشِّها في شجرة البلوط الأخضر، ونظرت من خلال الأوراق متسائلةً.

صاح وعيناه الجميلتان مُغْرَوْرِقتان بالدموع: «ولا وردة حمراء واحدة في حديقتي كلها! آه، كم تتوقَّف السعادة على أشياء صغيرة! لقد قرأت كل ما كتبه الحكماء، وفي جعبتي كل أسرار الفلسفة، ولكن لعدم وجود وردة حمراء واحدة، أصبحت حياتي بائسة.»

قالت أنثى العندليب: «ها هو أخيرًا، مثالٌ على الحبيب الصادق. ليلةً تِلْو أخرى كنتُ أغرِّد ذاكرةً إيَّاه، مع أني لم أكن أعرفه؛ ليلةً تِلْو أخرى رويت قصته للنجوم، وها أنا الآن أراه. شعره داكن كزهرة الخزامى، وشفتاه حمراوان مثل الوردة التي يرغب فيها؛ ولكن الوَجْد قد جعل وجهه مثل العاج الباهت، ووضع الحزن بَصْمَته على جبينه.»

تمتم الطالب الشابُّ قائلًا: «سيقيم الأمير حفلةً راقصة ليلة غد، وستكون حبيبتي ضمن الحضور. إن أحضرتُ لها وردة حمراء، فسترقص معي حتى الفجر. إن أحضرتُ لها وردة حمراء، فسوف أضمُّها بين ذراعَيَّ، وسيميل رأسها على كتفي، وستُعانق كفُّها كفِّي. ولكن لا توجد وردة حمراء في حديقتي؛ لذا سأجلس وحيدًا، وستضيع مني. لن تعيرني اهتمامًا، وسينفطر قلبي.»

قالت أنثى العندليب: «ها هو حقًّا الحبيب الصادق الذي أتغنَّى به. إنه يتعذَّب؛ فما أعتبره سعادةً، يمثِّل له ألَمًا. الحب شيء رائع بكل تأكيد. إنه أثمن من الزُّمُرُّد، وأغلى من

أحجار الأوبال الكريمة. لا تستطيع اللآلئ ولا أحجار الجارنيت الكريمة أن تشتريه، ولا يمكن عرضه في الأسواق. لا يمكن شراؤه من التُّجَّار، ولا يمكن أن يُوزَن بميزان بالذهب.»

قال الطالب الشابُّ: «سيجلس الموسيقيون في شُرْفَة العزف الخاصة بهم، ويعزفون على آلاتهم الوترية، وسترقص حبيبتي على أنغام القيثارة والكمان. سترقص بخِفَّة شديدة بحيث لن تلامس قدماها الأرض، بينما سيحتشد حولها المتودِّدون في ثيابهم الزاهية. لكنها لن ترقص معي؛ لأنني لا أملك وردةً حمراء أمنحها إيَّاها.» وألقى بنفسه على العُشب ودفن وجهه في يدَيه، وبكى.

تساءل ذَكَر سحلية أخضر صغير، بينما كان يَمُرُّ به راكضًا وذيلُه مرفوع في الهواء، قائلًا: «لماذا يبكي؟»

قالت فراشة كانت ترفرف في الأرجاء ملاحِقةً شعاعًا من أشعة الشمس: «حقًّا، لماذا؟»

همست زهرة أقحوان لجارتها بصوت ناعم خفيض: «حقًّا، لماذا؟»

فقالت أنثى العندليب: «إنه يبكي من أجل وردة حمراء.»

فصاحوا قائلين: «من أجل وردة حمراء! يا له من أمر مثير للسخرية.» وضحك ذَكَر السحلية الصغير دون تَحفُّظ، إذ كان ساخرًا نوعًا ما.

إلا أن أنثى العندليب كانت تفهم سِرَّ حزن الطالب، وجلست صامتة في شجرة البلوط وهي تفكر في غموض الحب.

فجأةً، فردت جناحَيها البُنِّيَّين لتطير، وحَلَّقَت في الهواء. مَرَّت كالظل عبر البستان، وكالظل طافت عبر الحديقة.

في وسط الأرض المغطاة بالحشائش كانت تقف شجرة ورود جميلة، وعندما رأتها، طارت نحوها، وحَطَّت على أحد أغصانها.

صاحت قائلة: «امنحيني وردةً حمراء، وسأغنِّي لكِ أعذب أغنياتي.»

ولكن الشجرة هزَّت رأسها رفضًا.

وأجابتها قائلة: «ورودي بيضاء كزَبَد البحر، وأكثر بياضًا من الثلج على قِمَم الجبال. ولكن اذهبي لأختي التي تنمو عند الساعة الشمسية القديمة، فلربما تُعطيكِ ما تريدين.»

فطارت أنثى العندليب إلى شجرة الورد التي تنمو عند الساعة الشمسية القديمة.

وصاحت قائلة: «امنحيني وردةً حمراء، وسأغنِّي لكِ أجمل أغنياتي.»

ولكن الشجرة هزَّت رأسها رفضًا.

وأجابتها قائلة: «ورودي صفراء كشعر حورية بحر تجلس على عرشٍ من الكَهْرمان، وأكثر اصفرارًا من زهرة النرجس الصفراء التي تُزْهِرُ في المروج قبل أن يأتي جازُّ العشب بمنجله. ولكن اذهبي لأختي التي تنمو تحت نافذة الطالب، فلربما تُعطيكِ ما تريدين.»

فطارت أنثى العندليب إلى شجرة الورد التي كانت تنمو تحت نافذة الطالب.

وصاحت قائلةً: «امنحيني وردةً حمراء، وسأغنِّي لكِ أجمل أغنياتي.»

ولكن الشجرة هزَّت رأسها رفضًا.

وأجابتها قائلةً: «ورودي حمراء كأقدام الحمامة، وأكثر حُمرةً من فروع المَرْجان المروحيِّ الضخمة التي تتمايل يمينًا ويسارًا في كهوف المحيط. ولكن الشتاء قد بَرَّدَ عروقي، وأمات الصقيعُ براعمي، وكسرت العاصفةُ أغصاني، ولن يكون لديَّ أي ورود على الإطلاق هذا العام.»

صاحت أنثى العندليب قائلةً: «كل ما أريده هو وردة حمراء واحدة، وردة حمراء واحدة فحسب! ألا توجد أي طريقة يمكنني بها أن أحصل عليها؟»

أجابت الشجرة: «توجد طريقة، ولكنها رهيبة بشدَّة لدرجة أنني لا أجرؤ على إخبارِكِ بها.»

فقالت أنثى العندليب: «أخبريني، فلستُ خائفة.»

فقالت الشجرة: «إن كنتِ تريدين وردةً حمراء، فلا بُدَّ أن توجديها من الموسيقى إلى جانب ضوء القمر، وتصبغيها بدم قلبك. لا بُدَّ أن تُغَنِّي لي وفي صدرك شوكة. لا بُدَّ أن تُغَنِّي لي طوال الليل، ولا بُدَّ أن تخترق الشوكةُ قلبك، وتتدفَّق دماؤك إلى عروقي وتصبح لي.»

صاحت أنثى العندليب قائلة: «إن الموت ثمنٌ باهظٌ لقاء الحصول على وردة حمراء، والحياة عزيزة للغاية على الجميع. إنه شيء سارٌّ أن أجلس على الخشب الأخضر، وأن أشاهد الشمس في عربتها الذهبية والقمر في عربته اللؤلؤية. كم هي جميلة رائحة زهر الزعرور، وكم هي جميلة زهور الجريس الزرقاء التي تختبئ في الوادي، ونبات الخلنج الذي يتمايل على التلال. ومع ذلك، فالحب أفضل من الحياة، فما أهمية قلب طائر مقارنة بقلب الإنسان؟!»

وهكذا فردت أنثى العندليب جناحَيها البُنِّيَّين لتطير، وحَلَّقَت في الهواء. مَرَّت فوق الحديقة كالظل، وكالظل طافت عبر البستان.

كان الطالب الشابُّ لا يزال راقدًا على العشب كما تركَتْه، ولم تكن الدموع قد جَفَّت بعد في عينَيه الجميلتَين.

صاحت أنثى العندليب قائلة: «ابتهج، ابتهج؛ فستحصل على وردتك الحمراء. سأوجدها من الموسيقى إلى جانب ضوء القمر، وسأصبغها بدم قلبي. كل ما أطلبه منك في المقابل هو أن تكون حبيبًا صادقًا، فالحبُّ أَشَدُّ حكمةً من الفلسفة — مع أنها حكيمة — وأقوى من العنفوان — مع قوة العنفوان. الحب تصطبغ أجنحته وجسده بألوان اللهب، وشفتاه في حلاوة العسل، وأنفاسه في طِيب البخور.»

رفع الطالب رأسه من فوق العشب ونظر لأعلى وأنصت، ولكنه لم يفهم ما كانت أنثى العندليب تقول له، إذ لم يكن يعرف سوى الأشياء المدوَّنة في الكتب فحسب.

ولكن شجرة البلوط فهمت كلام أنثى العندليب وحَزِنَت؛ لأنها كانت مولعةً بشدة بأنثى العندليب الصغيرة التي كانت قد بَنَت عُشَّها بين فروعها.

همست الشجرة قائلةً: «غَنِّي لي أغنيةً أخيرة، فسأشعر بالوحدة الشديدة عند رحيلك.»

وهكذا، غَنَّت أنثى العندليب لشجرة البلوط، وكان صوتها يشبه خرير الماء المترقرق من جَرَّة فِضية.

عندما انتهت من أغنيتها نهض الطالب، وسحب دفتر ملاحظات وقلمًا رصاصًا من جَيْبِه.

حدَّث نفسه وهو يسير مبتعدًا عبر البستان، قائلًا: «لديها جسد، هذا لا يمكن إنكاره، ولكن هل لديها شعور؟ لا أظن ذلك. في الواقع، إنها كمعظم الفنَّانين؛ تتمتَّع بالمهارة ولكن دون أيِّ صدق. فهي لن تضحِّي بنفسها من أجل الآخرين. كل ما تفكِّر فيه هو الموسيقى، ويعلم الجميع أن الفنون تتسم بالأنانية. ومع ذلك، لا بُدَّ أن أعترف بأن لديها بعضَ النغمات الصوتية الجميلة. ولكنها لا تعني أي شيء للأسف، ولا تُجدي نفعًا.» ومضى إلى غرفته، واستلقى على سريره الصغير، وبدأ يفكِّر في محبوبته؛ وبعد بعض الوقت، غالَبَه النعاس.

وعندما تألَّق القمر في السماء، طارت أنثى العندليب إلى شجرة الورد ووضعت الشوكة في مواجهة صَدْرها. طوال الليل ظلَّت تُغنِّي والشوكة في صدرها، وهبط القمر البارد البلوري من عَلْيائِه وأنصت إليها. طوال الليل غَنَّت، واخترقت الشوكة صدرها أعمق فأعمق حتى نزف دَمُها.

غَنَّت في البداية عن تولُّد الحب في قلب فتًى وفتاة. وعلى قِمَّة أعلى غصن في شجرة الورد، تفتَّحت وردة رائعة، بتلة تلِوَ الأخرى، كلَّما غَنَّت أنثى العندليب أغنية تِلْو الأخرى. كانت شاحبةً في البداية، كالضَّباب الذي يُغطِّي النهر؛ شاحبةً كتباشير الصباح، وفضية

كأجنحة الفجر؛ كظِلِّ الوردة في مرآة من الفضة، كظِلِّ الوردة على صفحة الماء، هكذا كانت الوردة التي تفتَّحت على قِمَّة أعلى غصن في الشجرة.

إلَّا أن الشجرة هتفت لأنثى العندليب، طالبةً منها أن تضغط الشوكة أكثر في صدرها، قائلةً: «اضغطي أكثر — يا أنثى العندليب الصغيرة — وإلا فسيحُلُّ النهار قبل أن تكتمل الوردة.»

لذا ضغطت أنثى العندليب بصدرها أكثر على الشوكة، وارتفع صوت غنائها أكثر فأكثر، إذ كانت تغنِّي عن ولادة العاطفة في روح رجل وفتاة.

فسرى تورُّدٌ ورديٌّ لطيفٌ في أوراق الوردة، كحُمْرة الخجل التي تسري في وجه عروس عندما يُقبِّل شفتَي عروسه. لكنَّ الشوكة لم تكن قد وصلت بعد إلى قلبها، فبقيَ قلب الوردة أبيض، لأن دماء قلب أنثى العندليب وحدها هي التي بمقدورها تخضيب قلب الوردة بلونٍ قرمزي.

هتفت الشجرة لأنثى العندليب، طالبةً منها أن تضغط بصدرها أكثر على الشوكة، قائلة: «اضغطي أكثر يا أنثى العندليب الصغيرة، وإلا فسيحلُّ النهار قبل أن تكتمل الوردة.»

لذا ضغطت أنثى العندليب بصدرها أكثر على الشوكة، حتى لامست الشوكة قلبها، فسرت وخزةُ ألمٍ قاتلة عبر جسدها. كان الألم مريرًا، مريرًا كان الألم، فازداد جموح أغنيتها أكثر فأكثر، إذ كانت تغنِّي عن الحب الذي يصل بالموت إلى الكمال، عن الحب الذي لا يموت في القبر.

تحوَّلت الوردة الرائعة إلى اللون القرمزي، كوردة السماء الشرقية. كان إطار البتلات قرمزيًّا وقلب الوردة قرمزيًّا في لون الياقوت.

إلَّا أن صوت أنثى العندليب صار أشد خفوتًا، وبدأت تضرب بجناحَيها الصغيرين ونزلت غشاوةٌ على عينَيها. ضعف غناؤها أكثر فأكثر، وشعرت بشيء في حَلْقها يخنقها.

ثم لفظت آخر دفقة من الموسيقى. سمعها القمر الأبيض، فغفل عن الفجر، وظلَّ ماثلًا في السماء. سمعتها الوردة الحمراء، واختلج كل موضع من جسدها في نشوة، وفَتَّحَت بتلاتها مُستقبِلةً هواء الصباح البارد. حملها الصدى إلى كهفه الأرجواني في التلال، وأيقظ رُعاة الغنم النائمين من أحلامهم. حَلَّق لحنها عبر نباتات القيصوب النامية على ضفاف النهر، والتي بدَوْرها حملت رسالتها إلى البحر.

صاحت الشجرة قائلة: «انظري، انظري! لقد اكتملتِ الوردة.» ولكن أنثى العندليب لم تُجِب، فقد كانت مُمدَّدة على العُشب الطويل وقد لفظت أنفاسها الأخيرة، والشوكة في قلبها.

عند الظهيرة، فتح الطالب نافذته ونظر خارجًا.

صاح قائلًا: «يا إلهي! يا له من حظٍّ رائع! ها هي وردة حمراء! لم أرَ مثيلًا لها في حياتي من قبل. إنها شديدة الجمال، حتى إنَّني متأكِّد أن اسمها سيكون اسمًا لاتينيًّا طويلًا.» وانحنى وقطفها.

ثم وضعها على قبعته وركض إلى منزل الأستاذ وهو يحملها في يده.

كانت ابنة الأستاذ تجلس في المدخل تَلُفُّ الحرير الأزرق على بَكَرة، وكان كلبها الصغير مستلقيًا عند قدمها.

صاح الطالب قائلًا: «قلتِ إنكِ سترقصين معي إن أحضرتُ لكِ وردةً حمراء، ها هي الوردة الأكثر حُمرةً في العالم أجمع. ستضعينها الليلة بجانب قلبك، وبينما نرقص سويًّا ستخبرك كم أحبكِ.»

إلَّا أن الفتاة عَبَسَت.

وأجابت قائلةً: «للأسف لن تتناسب مع ثوبي، كما أن ابن أخي حاجب الملك قد أرسل لي مجوهرات حقيقية، ويعلم الجميع أن المجوهرات أغلى ثمنًا بكثير من الزهور.»

قال الطالب بغضبٍ: «حسنًا، حقًّا إنكِ لجاحدة أشدَّ الجحود.» ثم ألقى بالوردة في الشارع، حيث سقطت في البالوعة، ودهستها عجلات إحدى العربات.

فردَّت الفتاة قائلةً: «جاحدة! دعني أخبرك شيئًا، إنك شديد الوقاحة، ومَن أنت على أيَّة حال؟ مجرَّد طالب. لا أعتقد أن لديك أبازيم فضية في حذائك كالتي لدى ابن أخي حاجب الملك.» ونهضت من مقعدها ودخلت المنزل.

قال الطالب وهو يمشي بعيدًا: «إن الحب لشيء سخيف، ففائدته لا ترقى لنصف فائدة المنطق، كما أنه لا يُثبتُ أيَّ شيء، ودائمًا ما يَعِد بأشياء لن تحدث، ويجعل المرء يصدِّق أشياء ليست حقيقية. في الواقع، إنه غير عملي تمامًا، وبما أن العملية هي كل شيء في هذا العصر، فسأعود للفلسفة ولدراسة الميتافيزيقيا.»

وهكذا، عاد إلى غرفته، وسحب كتابًا كبيرًا يكسوه التراب، وبدأ يقرأ.

العملاق الأناني

بعد ظهر كل يوم كان الأطفال معتادين أن يذهبوا للَّعبِ في حديقة العملاق بعد عودتهم من المدرسة.

كانت حديقة كبيرة جميلة، ذات عشب أخضر ناعم. وهنا وهناك فوق العشب انتصبت أزهار جميلة كالنجوم، وكان بها اثنتا عشرة شجرة خوخ، تُزهر في فصل الربيع أزهارًا رقيقة ذات لون وردي ولؤلؤي، وفي الخريف تثمر فاكهةً وافرة. جلست الطيور على الأشجار وغنَّت غناءً عذبًا، حتى إن الأطفال كانوا يُوقِفون ألعابهم ليستمعوا إليها. صاح الأطفال قائلين بعضهم لبعض: «كم نحن سعداء هنا!»

في يوم من الأيام، عاد العملاق. كان قد ذهب في زيارة لصديقه الغول الكوروني، وبقي معه مُدَّة سبع سنوات. بعد انقضاء سبع السنوات كان قد قال كل ما لديه، إذ إن كلامه محدود، وعزم على العودة لقلعته. عندما وصل رأى الأطفال يلعبون في الحديقة.

صاح، بصوت أَجَشَّ للغاية، قائلًا: «ماذا تفعلون هنا؟» فهرب الأطفال بعيدًا.

قال العملاق: «حديقتي مِلْك لي أنا. بمقدور أي شخص أن يفهم ذلك، ولن أسمح لأحد عَدَاي باللَّعب فيها.» لذا بنى جدارًا مرتفعًا يطوِّقها، ووضع لوحةً تحذيرية مكتوبًا عليها:

من يتجاوز الجدار فسيتعرض للملاحقة.

كان عملاقًا شديد الأنانية.

حينئذٍ لم يَعُد لدى الأطفال المساكين مكان للَّعب. حاولوا اللَّعب في الطريق، لكن الطريق كان مُغبَّرًا بشدة، ومليئًا بالحجارة القاسية، ولم يُعجبهم الأمر. كانوا يتجوَّلون حول الجدار العالي بعد انتهاء دروسهم، ويتحدثون عن الحديقة الجميلة في الداخل. قالوا بعضهم لبعض: «كم كُنَّا سعداء هناك!»

ثم جاء الربيع، وكانت البراعم والطيور الصغيرة منتشرةً في جميع أنحاء البلاد. فقط في حديقة العملاق الأناني ظَلَّ الطقس شتويًّا. لم تهتمَّ الطيور بالغناء؛ لأنه لم يكن ثَمَّة أطفال، ونسيت الأشجار أن تزهر. في إحدى المرَّات رفعت زهرة جميلة رأسها من العشب، ولكنَّها عندما رأت اللوحة التحذيرية شعرت بالأسى الشديد على الأطفال، حتى إنها سقطت على الأرض مرةً أخرى، وراحت في نوم عميق. كان الوحيدان اللذان سَرَّهما ذلك هما الثلج والصقيع. صاحا قائلَين: «لقد نسي الربيع هذه الحديقة، لذا سنعيش هنا على مدى السنة.» غطَّى الثلج العشب بعباءته البيضاء الكبيرة، ولوَّن الصقيع جميع الأشجار باللون الفضيِّ. بعد ذلك وجَّها الدعوة إلى الريح الشمالية للبقاء معهما، فأتت. كانت مُتدثِّرةً بالفِراء وتطوف حول الحديقة مُصَرْصِرَةً طوال اليوم، وتعصف بالأنابيب الفخارية أعلى المداخن فتسقطها أرضًا. قالت: «إنه مكان مُبهِج، لا بُدَّ أن ندعوَ المطر للزيارة.» وهكذا جاء المطر. وظلَّ يهطِل كل يوم لمدة ثلاث ساعات على سطح القلعة حتى كَسَّر معظم الألواح، ثم ركض يدور ويدور حول الحديقة بأسرع ما يمكنه. كان يرتدي ثوبًا رماديًّا، وكانت أنفاسه كالثلج.

قال العملاق الأناني، وهو يجلس إلى النافذة ناظرًا إلى حديقته البيضاء الباردة: «لا أفهم سبب تأخُّر الربيع، أتمنَّى أن يتغيَّر الطقس.»

لكنَّ الربيع لم يأتِ قطُّ، ولا الصيف. منح الخريفُ ثمارًا ذهبية لكل الحدائق، إلا حديقة العملاق، وقال: «إنه شديد الأنانية.» وهكذا كان الطقس شتاءً على الدوام هناك، وكانت الريح الشمالية والمطر والصقيع والثلج يتراقصون في الجوار خلال الأشجار.

في صباح أحد الأيام، كان العملاق يرقد مستيقظًا في السرير، عندما سمع بعض الموسيقى الجميلة. كان صوتها في أذنَيه شديد العذوبة حتى إنه ظنَّ أنه لا بُدَّ أن موسيقيي الملك يمرُّون. في الحقيقة كان مجرد عصفور تفاحيٍّ صغير يغرِّد خارج نافذته، ولكن كان قد مَرَّ وقت طويل منذ أن سمع العملاق طائرًا يغرِّد في حديقته، حتى إن صوته بدا له وكأنه أجمل موسيقى في العالم. ثم توقَّف المطر عن الرقص فوق رأسه، وأمسكت الريح الشمالية عن العصف، وجاءته عبر النافذة المفتوحة رائحةُ عِطْر طيب. قال العملاق: «أعتقد أن الربيع قد أتى أخيرًا.» وقفز من سريره ونظر من النافذة.

فما الذي رآه؟

رأى مشهدًا رائعًا للغاية. تسلَّل الأطفال عبر ثقب صغير في الجدار، وكانوا يجلسون على فروع الأشجار. على كل شجرة وقع عليها بصره كان يجلس طفل صغير، وكانت

الأشجار سعيدةً للغاية لعودة الأطفال مرةً أخرى، حتى إنها كَسَت نفسها براعم الأزهار، وكانت تُلَوِّحُ بأذرُعِها برفق فوق رءوس الأطفال. والطيور ترفرف حولهم وتزقزق بسعادة، والأزهار تنظر لأعلى من بين العشب الأخضر وتضحك. مشهدٌ رائعٌ، ولكن في ركنٍ واحد فقط من الحديقة ظلَّ الطقس شتاءً. كان أبعد ركن من الحديقة، وكان يقف فيه صبِيٌّ صغير. كان صغيرًا للغاية حتى إنه لم يستطع الوصول إلى فروع الشجرة، وكان يتجوَّل حولها، وهو يبكي بحُرقة. كانت الشجرة المسكينة لا تزال مُغطَّاة بالصقيع والثلج، وكانت الريح الشمالية تهبُّ عليها وتُصَرْصِر فوقها. قالت الشجرة: «تسلَّق أيُّها الولد الصغير.» وأحنت أغصانها بأقصى ما يمكنها؛ ولكن الولد كان صغيرًا للغاية.

ذاب قلب العملاق وهو ينظر إلى هذا المشهد، وقال: «كم كنتُ أنانيًّا! الآن أعرف لِمَ لَمْ يحلَّ الربيع هنا. سأحمل هذا الصبي المسكين وأضعه على قِمَّة الشجرة، ثم سأهدم الجدار وستكون حديقتي ملعبًا للأطفال إلى الأبد.» كان العملاق آسفًا بحق لِما فعله.

لذلك تسلَّل إلى الطابق السفلي، وفتح الباب الأمامي بهدوء وخرج إلى الحديقة. ولكن عندما رآه الأطفال ملأهم الرعب وهربوا جميعًا، فحلَّ فصل الشتاء في الحديقة مرةً أخرى. وحده الصبيُّ الصغير لم يركض، لأن عينَيه كانتا ممتلئتَين بالدموع، فلم يرَ العملاق قادمًا. تسلَّل العملاق خلفه وحمله بلطف في يده ووضعه على الشجرة. وفي الحال، انبثقت البراعم من الشجرة، وحَلَّت الطيور عليها وغرَّدت، ومدَّ الصبي الصغير ذراعَيه ولفَّهما حول رقبة العملاق وقَبَّلَهُ. وعندما رأى الأطفال الآخرون أن العملاق لم يَعُد شِرِّيرًا، عادوا يركضون إلى الحديقة مرةً أخرى، ومعهم أتى الربيع. قال العملاق: «إنها حديقتكم الآن، أيُّها الأطفال الصغار.» وأخذ فأسًا كبيرًا وهدم الجدار. وعندما كان الناس ذاهبين إلى السوق في الساعة الثانية عشرة، وجدوا العملاق يلعب مع الأطفال في أجمل حديقة رأوها في حياتهم.

لعبوا طوال اليوم، وفي المساء ذهبوا للعملاق ليودِّعوه.

فقال العملاق: «ولكن أين رفيقكم الصغير؟ الولد الذي وضعته على الشجرة.» كان هذا الولد هو أكثر طفل أحبَّه العملاق؛ وذلك لأنه قَبَّله.

أجاب الأطفال: «لا نعرف، لقد ذهب.»

ردَّ العملاق: «لا بُدَّ أن تخبروه أن يحرص على المجيء إلى هنا غدًا.» ولكن الأطفال قالوا إنهم لا يعرفون أين يسكن، وإنهم لم يَرَوْه من قبل، فشعر العملاق بالحزن الشديد.

عصر كل يوم، بعد انتهاء المدرسة، كان الأطفال يأتون ويلعبون مع العملاق. ولكن الصبيَّ الصغير الذي أحبَّه العملاق لم يَرَه أحدٌ بعد ذلك قط. كان العملاق لطيفًا جدًّا مع

جميع الأطفال، ولكنه كان يتوق إلى صديقه الأول الصغير، وكثيرًا ما تحدَّث عنه قائلًا: «كم أودُّ رؤيته!»

مرَّت السنوات، وصار العملاق عجوزًا ضعيفًا، ولم يَعُد بإمكانه اللعب مجددًا، فجلس على كرسيٍّ ضخم، وشاهد الأطفال وهم يلعبون وأبدى إعجابه بحديقته. وقال: «لديَّ الكثير من الزهور الجميلة، ولكن الأطفال هم أجمل الزهور على الإطلاق.»

في صباح يوم شتوي نظر عبر نافذته إلى الخارج بينما كان يرتدي ملابسه. لم يَعُد الآن يكره الشتاء؛ لأنه كان يعلم أن الربيع نائم فحسب، وأن الزهور تستريح.

فجأةً، فرك عينَيه في تعجُّب، وأخذ ينظر ويُمعِن النظر. كان بلا شك مشهدًا رائعًا. في الركن الأبعد من الحديقة كانت توجد شجرة مُغطَّاة تمامًا بأزهار بيضاء جميلة. كانت فروعها ذهبيةً كلها، وكانت تتدلَّى منها فاكهة فضية، وأسفلها كان يقف الفتى الصغير الذي كان يحبُّه.

هبط العملاق الدَّرَج ركضًا، والفرحة تملؤه، وخرج إلى الحديقة. وهُرِع عبر العشب مقتربًا من الطفل. وعندما اقترب منه بشدة، احمرَّ وجهه غضبًا، وقال: «مَن الذي تجرَّأ على جرحك؟» إذ كان على راحتَي يدَيِ الطفل أثر خَمْش ظُفْرَين، وأثر آخر لخَمْش ظُفْرَين على قدمه الصغيرة.

صاح العملاق قائلًا: «مَن الذي تجرَّأ على جرحك؟ أخبرني حتى آخذ سيفي الكبير، وأقتله!»

فأجاب الطفل قائلًا: «لا، فهذه جروح الحب.»

قال العملاق: «مَن أنت؟» وحَلَّت عليه رهبة غريبة، وركع أمام الطفل الصغير.

فابتسم الطفل للعملاق، وقال له: «لقد سمحت لي باللعب مرَّةً واحدة في حديقتك، واليوم، ستأتي معي إلى حديقتي، التي هي الجنة.»

وعندما ركض الأطفال بعد ظهر ذلك اليوم إلى الحديقة، وجدوا العملاق يرقد ميتًا أسفل الشجرة، وتغطِّيه بأكمله أزهار بيضاء.

الصديق المخلص

في صباح أحد الأيام أخرج جُرذ الماء العجوز رأسه من حُفرته. كان له عينان لامعتان كالخَرَز وشوارب رمادية خشنة وذيل طويل يُشبه قطعة من المطاط الهندي الأسود. كان البط الصغير يسبح في بِرْكة الماء، ويبدو تمامًا كمجموعة من عصافير الكناري الصفراء، أمَّا أمُّهم، التي كانت ذات لون أبيض صافٍ ورجلَين حمراوَين ناصعتَين، فكانت تحاول تعليمهم كيفية الوقوف على رءوسهم في الماء.

ظَلَّت الأم تقول لأبنائها الصغار: «لن تكونوا أبدًا جزءًا من صَفْوة المجتمع إلا إذا كان بمقدوركم الوقوف على رءوسكم.» وكانت بين الحين والآخر تُريهم كيفية فعل ذلك، ولكن البط الصغير لم يُعِرْها اهتمامًا؛ إذ كانوا صغارًا جدًّا، فلم يدركوا ما ميزة أن يكونوا جزءًا من مجتمع من الأساس.

صاح جُرذ الماء العجوز قائلًا: «يا لهم من أطفال غير مطيعين! إنهم حقًّا يستحقُّون الغَرَق!»

فأجابت البطة قائلةً: «لا أبدًا، لا بُدَّ أن يخطو كل واحد خطوته الأولى في الحياة، وليس بمقدور الآباء سوى التَّحلِّي بالصبر.»

ردَّ جُرذ الماء قائلًا: «أوه! أنا لا أعرف شيئًا عن مشاعر الآباء، فأنا لستُ ربَّ أُسْرة. في الواقع، أنا لم أتزوج قط، ولا أنوي الزواج أبدًا. الحب أمر جيِّد في حد ذاته، ولكن الصداقة أرقى بكثير. في الواقع، لا أجد في العالم ما هو أكثر نُبْلًا ولا ندرة من الصداقة المخلصة.»

تساءل عصفور تفاحيٌّ أخضر، كان يجلس على شجرة صفصاف قريبة، بعد أن سمع المحادثة صدفة، قائلًا: «وما هي، إن سمحت لي، فكرتك عن واجبات الصديق المخلص؟»

فقالت البطة: «أجل هذا بالضبط ما أريد معرفته.» ثم سبحت بعيدًا نحو نهاية البِرْكة، ووقفت على رأسها، حتى تقدِّم لأطفالها نموذجًا يُحتذَى به.

صاح جُرذ الماء قائلًا: «يا له من سؤال سخيف! بالطبع أتوقَّع من صديقي المخلص أن يكون مخلصًا لي!»

قال العصفور الصغير، وهو يتأرجح على غصن فضي، ويرفرف بجناحَيه الصغيرَين: «وما الذي ستفعله في المقابل؟»

أجاب جُرذ الماء قائلًا: «لا أفهمك.»

فقال العصفور: «دعني أحكي لك قصةً عن هذا الموضوع.»

فسأله جُرذ الماء: «هل هذه القصة عني؟ إن كان الأمر كذلك، فسأستمع إليها لأنني مولع للغاية بالقصص.»

فردَّ العصفور قائلًا: «إنها تنطبق عليك.» ثم طار لأسفل، وحَطَّ على ضفة النهر، وراح يروي قصة الصديق المخلص.

حكى العصفور قائلًا: «يُحكى أنه كان هناك رجلٌ صغير مخلص يُدعَى هانز.»

سأل جُرذ الماء قائلًا: «هل كان مميَّزًا جدًّا؟»

فأجاب العصفور: «لا، لا أعتقد أنه كان مميَّزًا على الإطلاق، باستثناء قلبه الطيب ووجهه المستدير المُضحِك المرح. كان يعيش في كوخٍ صغير بمفرده، وكان يعمل كل يوم في حديقته. لم تكن هناك حديقة في جميع أنحاء الريف تضاهي حديقته جمالًا. في حديقته تنمو زهرة قرنفل الشاعر، وزهور المنثور، ونبات كيس الراعي، وزهور الحوذان. وبها ورودٌ دمشقية، وورودٌ صفراء، وزهور الزعفران الأرجواني، وزهور البنفسج الذهبية والبيضاء والبنفسجية. كانت زهور الحوض وزهور حُرف المروج، والبردقوش والريحان البري، وزهر الربيع العطري والزنبق، والنرجس البري والقرنفل الوردي تُزهِرُ أو تتفتح في أوانها الصحيح على مدى العام، فتحل زهرة مكان الأخرى بحيث كانت توجد دائمًا أشياء جميلة تسر العين وروائح زكية تبهج الأنف.

كان لدى هانز الصغير الكثير من الأصدقاء، ولكن أخلصهم على الإطلاق كان الطحان هيو الكبير. كان الطحان الثري مخلصًا بحق لهانز الصغير، حتى إنه لم يكن ليمرَّ على حديقته دون أن يميل على سورها ويقطف صُحبة كبيرة من زهور الإكليل، أو يأخذ حفنة من الأعشاب الحُلوة، أو يملأ جيوبه بالخوخ والكرز إذا كان الوقت هو موسم نضوج الفاكهة.

اعتاد الطحان أن يقول: «الأصدقاء الحقيقيون يجب أن يتقاسموا كل شيء.» فيبتسم هانز الصغير ويهز رأسه موافقًا، ويشعر بفخر شديد؛ لأن له صديقًا لديه مثل هذه الأفكار النبيلة.

في بعض الأحيان، كان الجيران يرَوْن أنه من الغريب أن الطحان الثري لم يعطِ هانز الصغير أيَّ شيء في المقابل مطلقًا، على الرغم من امتلاكه مائة كيس طحين مُخزَّنة في طاحونته، وستَّ بقرات حلوب، وقطيعًا كبيرًا من الأغنام ذات الصوف. ولكن هانز لم يشغل باله بهذه الأمور، ولم يكن ثَمَّة ما يُسعِده أكثر من الاستماع إلى كل الأشياء الرائعة التي كان الطحان يقولها عن الإيثار في الصداقة الحقيقية.

ظل هانز الصغير يعمل في حديقته. وكان في غاية السعادة في فصول الربيع والصيف والخريف، أمَّا عند حلول الشتاء، فلم يكن لديه أيُّ فاكهة ولا زهور ليجلبها إلى السوق، فكان يعاني كثيرًا من البرد والجوع، وكثيرًا ما كان يأوي إلى فراشه دون تناول أي عشاء سوى بعض الكمثرى المُجفَّفة أو بعض المكسرات الصُّلبة. كما كان يعاني في الشتاء من وَحدة شديدة؛ إذ إن الطحان لم يكن يأتي أبدًا لزيارته في ذلك الوقت.

كان الطحان يقول لزوجته: «لا فائدة من ذهابي لرؤية هانز الصغير ما دام الجليد موجودًا؛ لأنه عندما يكون الناس في ورطة، ينبغي أن يُتركوا لشأنهم، وألا يزعجهم الزُّوَّار. تلك على الأقل هي فكرتي عن الصداقة، وأنا متأكِّد من أنني على صواب؛ لذا سأنتظر حتى يأتي الربيع وسأزوره حينئذٍ، وسيكون بمقدوره أن يعطيني سَلَّة كبيرة من زهور الربيع، وهو ما سيسعده كثيرًا.»

ردَّت زوجته بينما كانت جالسةً على مقعدها المريح بجانب نيران المدفأة المصنوعة من خشب الصنوبر قائلةً: «إنك حقًّا شديد المراعاة لمشاعر الآخرين، شديد المراعاة بحق. إنه لمن الممتع جدًّا أن أسمعك وأنت تتحدَّث عن الصداقة. أنا متأكِّدة من أنه ليس بمقدور رجل الدين نفسه أن يقول كلامًا جميلًا كهذا، مع أنه يعيش في منزل من ثلاثة طوابق، ويضع خاتمًا ذهبيًّا في إصبعه الصغير.»

قال ابن الطحان الأصغر: «ولكن ألا يمكننا أن ندعو هانز الصغير ليأتيَ إلينا؟ إن كان هانز المسكين في أزمة، فسأعطيه نصف عصيدتي وسأريه أرانبي البيضاء.»

صاح الطحان قائلًا: «يا لك من ولد سخيف! أنا لا أعرف حقًّا ما الفائدة من إرسالك إلى المدرسة. يبدو أنك لا تتعلم شيئًا. إذا جاء هانز الصغير إلى هنا، ورأى نيران مدفأتنا الدافئة، وعشاءنا الطيب، وبرميلنا الضخم المملوء بالنبيذ الأحمر، فقد يشعر بالحسد، والحسد هو أكثر الأشياء فظاعةً، فهو يفسد طبيعة أي شخص. لن أسمح بإفساد طبيعة هانز بكل تأكيد، فأنا أفضل أصدقائه، ودائمًا ما سأعتني به، وأتأكَّد من أنه لن ينقاد إلى أيَّة إغراءات. كما أنه لو جاء إلى هنا، فقد يطلب مني الحصول على بعض الطَّحين على الحساب،

وهو شيء لا يمكنني فعله؛ فالطحين شيء، والصداقة شيء آخر، ويجب عدم الخلط بينهما، والكلمتان لهما تهجئتان مختلفتان ومعنيان مختلفان. إنه أمر واضح للجميع.»

قالت زوجته وهي تصبُّ لنفسها كأسًا كبيرًا من البيرة الدافئة: «أحسنتَ قولًا! إنني حقًّا أشعر بالاسترخاء الشديد، تمامًا وكأنني في الكنيسة.»

أجاب الطحان قائلًا: «الكثير من الناس يُحسِن التصرُّف، ولكن قِلَّة قليلة من الناس تُحسِن الكلام، مما يدل على أن الكلام هو أصعب الأمرَين، وأكثرهما رُقِيًّا أيضًا.» ونظر بحزم عبر المائدة لابنه الصغير، الذي شعر بخزيٍ شديد من نفسه حتى إنه طَأْطَأَ رأسه، وتحوَّل لونه إلى قرمزي فاقع وبدأ يبكي وتتساقط دموعه في كوب الشاي. ومع ذلك، فقد كان صغيرًا جدًّا حتى إنك لا تَمْلك إلا أن تَلتَمِسَ له العُذر.»

سأل جُرذ الماء قائلًا: «هل هذه هي نهاية القصة؟»

فأجاب العصفور: «بالطبع لا، تلك هي البداية.»

فقال جُرذ الماء: «إذن أنت لا تواكب العصر مطلقًا، ففي وقتنا الحاضر، كل قاصٍّ جيِّد يبدأ بالنهاية أولًا، ثم ينتقل إلى البداية، ويختتم بالوسط. هذا هو الأسلوب الجديد. لقد سمعت كل شيء عن الأمر منذ فترة قريبة من ناقدٍ كان يتجوَّل حول البِرْكة مع شابٍّ. لقد تحدَّث عن الأمر باستفاضة، وأنا متأكِّد من أنه لا بُدَّ أن يكون على صواب؛ إذ إنه كان يضع نظارة زرقاء وكان رأسه أصلع، كما أنه كلَّما كان يُبدي الشاب أي ملاحظة، كان يجيب قائلًا: «أُفٍّ!» ولكن استكمل قصتك رجاءً. إنني أحب الطحان كثيرًا. لديَّ الكثير من المشاعر الجميلة أيضًا، لذا هناك قَدْر كبير من التعاطف بيننا.»

قال العصفور وهو يقفز تارةً على قدم، وتارةً على الأخرى: «حسنًا، ما إن انتهى فصل الشتاء، وبدأت زهور الربيع تتفتح بتلاتها الصفراء الشاحبة، حتى قال الطحان لزوجته إنه سيذهب لرؤية هانز الصغير.»

فصاحت زوجته قائلة: «كم أنت طيِّب القلب! إنك تفكِّر بالآخرين دائمًا! لا تنسَ أن تأخذ السَّلَّة الكبيرة معك من أجل الزهور.»

وهكذا ربط الطحان أشرعة طاحونة الهواء معًا بسلسلة حديديَّة قوية، وهبط التَّلَّ وهو يحمل السَّلَّة على ذراعه.

«صباح الخير يا هانز الصغير.» هكذا قال الطحان.

ردَّ هانز وهو يميل على مجرفته، ويبتسم بملء فمه: «صباح الخير!»

«كيف كان حالك طوال فصل الشتاء؟»

فصاح هانز قائلًا: «حسنًا، إنه لَمِن اللُّطف منك حقًّا أن تسأل عني، لطف منك حقًّا. لقد واجهت مع الأسف وقتًا عصيبًا أثناء الشتاء، ولكن ها قد حَلَّ الربيع، وأنا في غاية السعادة، وكل أزهاري بحالة طيبة.»

«لقد كُنَّا نتحدَّث عنك كثيرًا خلال الشتاء، يا هانز، وكنا نتساءل كيف تتعايش مع تلك الظروف.»

«كان هذا لطفًا منكم، كنت أخشى أن تكونوا قد نسيتموني.»

«أنا مندهش منك، يا هانز! إن الصداقة لا تُنسى أبدًا. وذاك هو الشيء الرائع بشأنها، ولكنني أعتقد، آسفًا، أنك لا تفهم جمال الحياة وإيقاعها الشعري. بالمناسبة، كم تبدو جميلة زهور الربيع المتفتحة في حديقتك!»

«إنها حقًّا جميلة للغاية، وإنه لمن الحظ الجيد أن لديَّ الكثير منها. سآخذها إلى السوق، وأبيعها لابنة رئيس البلدية، وأشتري بالمال عربتي اليدوية مرةً أخرى.»

«تشتري عربتك اليدوية مرة أخرى؟ هل تعني أنك قد بعتَها؟ يا له من تصرُّف غبيٍّ!»

فردَّ هانز: «حسنًا، الحقيقة أنني كنت مجبرًا على ذلك. فقد كان الشتاء وقتًا سيئًا للغاية لي، ولم يكن لديَّ أيُّ مال على الإطلاق لأشتريَ الخبز؛ لذا بِعتُ في البداية الأزرار الفضية لمعطفي الذي أرتديه يوم الأحد، ثم بعتُ سلسلتي الفضية، ثم غليوني الكبير، وأخيرًا، بعت عربتي اليدوية. ولكنني سأشتريهم جميعًا مرةً أخرى الآن.»

قال الطحان: «هانز، سأعطيك عربتي اليدوية. إنها ليست في حالة جيدة؛ في الواقع، أحد جانبيها مفقود، ويوجد خلل ما في مكابح العجلات؛ ولكن على الرغم من ذلك سأعطيها لك. أعلم أن هذا كرم شديد مني، وسيظن كثيرٌ من الناس أنني شديد الحمق للتخلِّي عنها، ولكنني لست كبقية العالم، أنا أومن أن الكرم هو جوهر الصداقة، إلى جانب أنني قد اشتريت لنفسي عربة يدوية جديدة بالفعل. يمكنك أن تهدأ بالًا، فسأعطيك عربتي اليدوية.»

ردَّ هانز الصغير، ووجهه المستدير المرح يتوهَّج سعادة: «حسنًا، هذا كَرَم منك، يمكنني أن أُصْلحها بسهولة؛ فلديَّ لوح خشبي في المنزل.»

فقال الطحان: «لوح خشبي! ذلك بالضبط ما أحتاجه لسقف حظيرتي. إن فيه فتحةً كبيرة للغاية، وستفسد الرطوبة الذُّرَة إن لم أمنع تسرُّب الماء. إنه لمن حُسْن الحظ أنك قد ذكرت ذلك! كم هو رائع أن يُكافَأ عمل الخير بالخير؛ فها أنا قد أعطيتك عربتي اليدوية، وأنت ستعطيني لوحك الخشبي. بالطبع، العربة اليدوية تساوي أكثر بكثير من اللوح

الخشبي، ولكن صحيحٌ أن الصداقة الحقيقية لا تهتم بمثل هذه الأشياء. أرجوك، أعطني إيَّاه على الفور، وسأشرع من فوري في العمل على سقف حظيرتي اليوم.»

صاح هانز الصغير قائلًا: «بالتأكيد!» وركض إلى الكوخ وسحب اللوح خارجًا.

قال الطحان وهو يتفحَّص اللوح: «إنه ليس لوحًا كبيرًا للغاية، ويؤسفني أن أقول إنه بعدما أُصلح سقف حظيرتي لن يتبقى لك أي شيء تُصلِح به العربة اليدوية، ولكنه ليس خطئي بالطبع. والآن بما أني أعطيتك عربتي اليدوية، فأنا متأكد أنك سترغب في إعطائي بعض الزهور في المقابل. ها هي السَّلَّة، وتأكَّد من أن تملأها تمامًا.»

قال هانز الصغير بحزن نوعًا ما: «أملؤها تمامًا؟!» إذ كانت السَّلَّة كبيرةً للغاية، وكان يعلم أنه إن ملأها فلن يتبقى له أي زهور ليبيعها في السوق، وقد كان تَوَّاقًا للغاية لاستعادة أزراره الفضية.

فردَّ الطحان: «حسنًا، في الحقيقة، بما أنني قد أعطيتك عربتي اليدوية، فلا أعتقد أنه بالشيء الكثير أن أطلب منك بعض الزهور. قد أكون مخطئًا، ولكنني اعتقدتُ أن الصداقة، الصداقة الحقيقية، تخلو تمامًا من أي نوع من الأنانية.»

صاح هانز الصغير قائلًا: «يا صديقي العزيز، يا أعزَّ صديق، يمكنك الحصول على كل زهور حديقتي. سأفضِّل دائمًا الاحتفاظ بحسن ظنك فيَّ على الاحتفاظ بأزراري الفضية.» ثم ركض وقطف كل زهور الربيع الجميلة وملأ بها سَلَّة الطحان.

قال الطحان وهو يصعد التل حاملًا اللوح على كتفه والسلة الكبيرة في يده: «وداعًا، يا هانز الصغير.» وصعد التل وهو يحمل.

قال هانز الصغير: «وداعًا.» وبدأ يحفر الأرض بسعادة شديدة، فقد كان مسرورًا بشدة بالعربة اليدوية.

في اليوم التالي، كان هانز الصغير يُثبِّت بعضًا من نبات زهر العسل على الشُّرْفة، حينما سمع صوت الطحان يناديه من الطريق، فقفز من فوق السُّلَّم، وعبر الحديقة ركضًا، ونظر من فوق الجدار.

كان الطحان يقف حاملًا كيسًا كبيرًا من الطحين على ظهره.

وقال: «يا عزيزي هانز، هل تمانع في أن تحمل لي كيس الطحين هذا إلى السوق؟»

فردَّ هانز: «أنا آسف بحقٍّ، ولكنني مشغول للغاية اليوم. لا بد أن أُثبِّت جميع نباتاتي المتسلِّقة وأسقي كل أزهاري وأمهِّد عشبي كله.»

فقال الطحان: «حسنًا، في الواقع أعتقد أنه بالنظر إلى أنني سأعطيك عربتي اليدوية، فليس من اللُّطف أن ترفض طلبي.»

صاح هانز الصغير قائلًا: «أوه، لا تقل ذلك! ما يكون لي أن أتعامل بأسلوب غير لطيف مع أي إنسان.» ثم ركض إلى الداخل ليُحضِر غطاء رأسه، ومشى مثقلًا وهو يحمل الكيس الكبير على كتفَيه.

كان يومًا شديد الحرارة، وكان الطريق مُغبَّرًا على نحو فظيع، وبلغ التعب الشديد بهانز مبلغه بالفعل قبل أن يصل إلى علامة الطريق السادسة، حتى إنه اضطر إلى أن يجلس ليستريح. ومع ذلك، واصل طريقه بشجاعة، ووصل إلى السوق أخيرًا. وبعد أن انتظر هناك بعض الوقت، باع كيس الطحين بسعر جيِّد جدًّا، ثم عاد إلى البيت في الحال، إذ كان يخشى أنه إذا انتظر حتى وقت متأخِّر قد يقابل بعض اللصوص في الطريق.

حدَّث هانز الصغير نفسه بينما كان يأوي إلى الفراش قائلًا: «لقد كان يومًا عصيبًا بكل تأكيد، ولكنني سعيد أنني لم أرفض طلب الطحان، لأنه أفضل صديق لي، كما أنه سيقدِّم لي عربته اليدوية.»

في وقت مبكر من صباح اليوم التالي، نزل الطحان للحصول على المال مقابل كيس طحينه، ولكن هانز الصغير كان متعبًا لدرجة أنه كان لا يزال في السرير.

فقال الطحان: «يا إلهي! إنك شديد الكسل، بما أني سأعطيك عربتي اليدوية، أعتقد أنه ينبغي عليك أن تعمل بكدٍّ أكبر. فالكسل خطيئة كبرى، وأنا بالتأكيد لا أحب أن يكون أيٌّ من أصدقائي كسولًا أو خاملًا. ينبغي ألا يزعجك حديثي معك بصراحة تامة. ما كنت — بالطبع — لأقول لك هذا الكلام لو لم أكن صديقك. فما نَفْع الصداقة إن لم يستطع المرء أن يبوح بما في قلبه بالكامل؟! يمكن لأيِّ شخص أن يقول كلامًا ساحرًا ويحاول أن يرضي الغير ويتملَّقهم، ولكن الصديق الحقيقي دائمًا ما يقول أشياء غير سارة، ولا يجد غضاضةً في أن يتسبَّب في الألم. في الواقع، إن الصديق الحقيقي بحق ليفضِّل أن يتصرَّف على هذا النحو؛ لأنه يعلم أنه يفعل الصواب.»

قال هانز الصغير، وهو يفرك عينَيه وينزع غطاء النوم عن رأسه: «أنا آسف بشدة، ولكنني كنتُ أشعر بالتعب الشديد، ففكَّرت أن أستلقي في الفراش لفترة قصيرة، وأستمع لتغريد الطيور. هل تعلم أنني دائمًا أعمل بصورة أفضل بعد سماع تغريد الطيور؟»

قال الطحان وهو يربِّت على ظهر هانز الصغير: «حسنًا أنا سعيد بذلك؛ لأنني أريدك أن تأتي إلى الطاحونة حالما ترتدي ملابسك وتُصلِحَ سقف حظيرتي.»

كان هانز المسكين متلهِّفًا إلى الذهاب إلى حديقته والعمل فيها؛ لأن زهوره لم تكن قد سُقِيَت لمدة يومَين، ولكنه لم يرغب في رفض طلب الطحان لأنه كان صديقًا جيِّدًا له.

سأل هانز الطحان بصوت خجول ومتهيِّب: «هل تعتقد أنه سيكون من عدم اللطف مني إن قلت إنني مشغول؟»

فأجاب الطحان قائلًا: «حسنًا، لا أعتقد أنني أطلب منك الكثير، بالنظر إلى أنني سأعطيك عربتي اليدوية، ولكن بالطبع إن رفضتَ، فسأذهب وأقوم بذلك بنفسي.»

صاح هانز الصغير قائلًا: «أوه! لن تفعل بأيِّ حال من الأحوال!» ثم قفز من الفراش وارتدى ملابسه ومضى إلى الحظيرة.

عمل هناك طوال اليوم، حتى غروب الشمس، وعند الغروب أتى الطحان ليرى كيف كانت الأمور تسير معه.

صاح الطحان بصوت مبتهج قائلًا: «هل انتهيت من إصلاح الفجوة الموجودة في السقف، يا هانز الصغير؟»

فأجاب هانز الصغير، وهو ينزل من فوق السُّلَّم قائلًا: «لقد أصلحتها تمامًا.»

قال الطحان: «أوه! لا يوجد عمل يبعث السرور في النفس كالعمل الذي يصنعه المرء من أجل الآخرين.»

أجاب هانز الصغير، وهو يجلس ويمسح جبهته، قائلًا: «إنه لَشرف أن أنصت لكلامك بكل تأكيد، شرف عظيم بحق. ولكن أعتقد آسفًا أنه لن يكون لديَّ أفكار جميلة مثل تلك التي لديك أبدًا.»

قال الطحان: «أوه! ستأتيك هذه الأفكار، ولكنك لا بُدَّ أن تعاني أكثر. فحتى الآن ليس لديك سوى أفعال الصداقة؛ في يوم من الأيام ستكون لديك النظرية أيضًا.»

سأل هانز الصغير قائلًا: «هل تعتقد حقًّا أنني سأكتسبها؟»

«ليس لديَّ شك في ذلك، ولكن الآن بعد أن أصلحت السقف، من الأفضل أن تعود إلى المنزل وترتاح، لأنني أريدك أن تسوق خرافي إلى الجبل غدًا.»

كان هانز الصغير المسكين يخشى من أن يُبدي أي اعتراض على هذا، وفي وقت مبكر من صباح اليوم التالي أحضر الطحان خِرافه إلى الكوخ، وبدأ هانز يسوقهم إلى الجبل. استغرق الأمر منه اليوم بطوله للوصول إلى هناك والعودة. وعندما عاد، كان متعبًا لدرجة أنه ذهب للنوم على كُرسيِّه، ولم يستيقظ حتى ارتفع النهار.

وقال: «يا له من وقتٍ ممتعٍ سأقضيه في حديقتي!» ومضى إلى العمل على الفور.

ولكنه بطريقة ما لم يتمكَّن من رعاية أزهاره على الإطلاق؛ لأن صديقه الطحان كان يأتي دائمًا ويرسله في مهام طويلة، أو يجعله يساعده في الطاحونة. كان هانز الصغير يشعر بالإحباط الشديد في بعض الأحيان؛ إذ كان يخشى من أن تظن أزهاره أنه قد نسيها، ولكنه عزَّى نفسه بالتفكير في أن الطحان كان هو أفضل صديق له. كما كان يقول: «إلى جانب أنه سوف يعطيني عربته اليدوية، وذلك فعل نابع من محض كرم منه.»

أرهق هانز الصغير نفسه في العمل من أجل الطحان، وكان الطحان يقول كلامًا معسولًا عن الصداقة، كان هانز الصغير يدوِّنه في دفتر ملاحظات، واعتاد أن يقرأه ليلًا؛ لأنه كان تلميذًا نجيبًا. حدث في إحدى الليالي أن كان هانز الصغير جالسًا بجوار موقده عندما سمع صوت طرق عالٍ على الباب. كانت ليلةً عاصفة جدًّا، وكانت الرياح تهبُّ وتصرصر حول المنزل على نحو رهيب حتى إنه اعتقد في البداية أن هذا الطَّرق كان بفعل العاصفة فحسب. ولكنه سمع صوت طرقة ثانية، ثم ثالثة كانت أعلى من سابقتَيها.

حدَّث هانز الصغير نفسه قائلًا: «لا بد أنه مسافر مسكين.» ثم هُرِع إلى الباب. هنالك وقف الطحان حاملًا مصباحًا في يد وعصًا كبيرة في الأخرى.

صاح الطحان قائلًا: «عزيزي هانز الصغير، إنني في ورطة كبيرة. لقد سقط ابني الصغير من أعلى السُّلَّم وأُصيب، وسأذهب إلى الطبيب. ولكنه يعيش في مكان بعيد للغاية، والجو الليلة سيِّئ، ففكرت أنه سيكون من الأفضل لو ذهبت أنت بدلًا مني. تعلم أنني سأقدِّم لك عربتي اليدوية، ولذا فمن الإنصاف أن تفعل لي شيئًا في المقابل.»

صاح هانز الصغير قائلًا: «بكل تأكيد! إنني أعتبر قدومك إليَّ بمنزلة الإطراء، سأنطلق إلى هناك على الفور. ولكن لا بُدَّ أن تعيرني مصباحك، فالليلة حالكة السواد حتى إنني أخشى أن أقع في حفرة.»

أجاب الطحان قائلًا: «أنا في شدة الأسف، ولكنه مصباحي الجديد، وستكون خسارة كبيرة لي إن لحق به أيُّ ضرر.»

فصاح هانز الصغير قائلًا: «حسنًا لا يهم، سأتدبَّر أمري من دونه.» ثم أخذ معطفه الكبير المصنوع من الفرو وقُبَّعته القرمزية الدافئة، ولَفَّ كوفيةً حول رقبته وانطلق في طريقه.

كم كانت مُروِّعة تلك العاصفة! الليل حالك السَّواد لدرجة أن هانز الصغير بالكاد يرى، والريح قويةٌ شديدة حتى إنه بالكاد يستطيع الوقوف. ولكنه كان شديد الشجاعة، وبعد مسيرة استمرَّت ثلاث ساعات، وصل أخيرًا إلى منزل الطبيب وطرق الباب.

صاح الطبيب وهو يُخرِج رأسه من نافذة غرفة نومه قائلًا: «مَن بالباب؟»

«أنا هانز الصغير، أيُّها الطبيب.»

«ماذا تريد يا هانز الصغير؟»

«لقد سقط ابن الطحان من أعلى السُّلَّم وأُصيب، ويريد الطحان منك أن تأتي في الحال.»

صاح الطبيب قائلًا: «حسنًا.» وطلب الإتيان بحصانه وحذائه ذي الرقبة الطويلة ومصباحه، وهبط الدَّرَج وانطلق نحو منزل الطحان وهانز الصغير يمشي بتثاقل خلفه.

ولكن العاصفة ازدادت سوءًا، وتساقطت الأمطار سيولًا، ولم يتمكَّن هانز الصغير من رؤية إلى أين كان ذاهبًا، أو من مواكبة الحصان. وفي النهاية، ضَلَّ طريقه وهام على وجهه في المستنقع، الذي كان مكانًا شديد الخطورة، إذ كان مليئًا بالحُفَر العميقة، وهناك غرق هانز الصغير المسكين. عَثَرَ بعض رعاة الماعز في اليوم التالي على جُثَّته طافيةً في بِرْكة كبيرة من الماء، وأعادوها إلى كوخه. ذهب الجميع إلى جنازة هانز الصغير؛ إذ كان يحظى بشعبية كبيرة، وكان الطحان هو المُشيِّع الرئيسي للجنازة.

قال الطحان: «بما أنني كنت أفضل صديق له، فمن الإنصاف أن أحظى بأفضل مكان.» فمشى على رأس موكب الجنازة وهو يرتدي عباءة سوداء طويلة، وبين الحين والآخر كان يمسح عينيه بمنديل جيب كبير.

قال الحداد عندما انتهت الجنازة، وكان الجميع جالسين مرتاحين في الحانة، يشربون الخمر المُبَهَّر ويأكلون الكعك الحلو: «إن فَقْد هانز الصغير يمثِّل، بلا شك، خسارة كبيرة للجميع.»

أجاب الطحان: «خسارة كبيرة لي على أيَّة حال، فقد كنتُ طيِّبًا معه حتى إنني أعطيته عربتي اليدوية، والآن لا أدري ماذا أفعل بها. فهي تعوق حركتي بالمنزل، وهي في حالة سيئة للغاية، ولذلك فلن أحصل مقابلها على أي شيء إن بعتها. سأحرص بكل تأكيد على ألَّا أعطي أي شيء لأي شخص بعد الآن، فالمرء دائمًا ما يعاني لكَوْنه كريمًا.»

قال جُرذ الماء بعد فترة صمت طويلة: «حسنًا؟»

فقال العصفور: «حسنًا، تلك هي النهاية.»

فسأل جُرذ الماء قائلًا: «ولكن ماذا حَلَّ بالطحان؟»

فأجاب العصفور: «أوه، إنني لا أعرف حقًّا! كما أنني على يقين من أنني لا أهتم.»

فرد الجُرذ: «من الواضح تمامًا إذن أن طبيعتك تفتقر إلى العطف.»

عَلَّقَ العصفور قائلًا: «أظن أنك لا تفهم المغزى الأخلاقي من القصة.»

صرخ الجُرذ قائلًا: «الـ... ماذا؟»

«المغزى الأخلاقي.»

«هل تعني أن القصة لها مغزًى أخلاقي؟»

فقال العصفور: «بكل تأكيد.»

رد جُرذ الماء بغضب شديد قائلًا: «حسنًا، أعتقد أنه كان عليك أن تخبرني بذلك قبل أن تبدأ. لو كنتَ قد فعلتَ، ما كنت لأستمع إليك بالتأكيد. في الواقع، كان ينبغي أن أقول «أُفٍّ!» مثل ذلك الناقد. ومع ذلك، أستطيع أن أقول ذلك الآن.» وصرخ قائلًا بأعلى صوته: «أُفٍّ!» وحرَّك ذَيْله حركةً سريعة، ثم عاد إلى جُحْره.

سألت البطة التي أتَتْ بعد بضع دقائق، وهي تحرِّك قدمَيها في الماء: «ما رأيك في جُرذ الماء؟ لديه الكثير من الآراء السديدة، ولكن من ناحيتي، فإني أمتلك مشاعر أُمٍّ، ولا يسعني على الإطلاق أن أنظر إلى عازب مخضرم دون أن تتسلل الدموع إلى عيني.»

أجاب العصفور: «أخشى بعض الشيء أن أكون قد أزعجته. في الواقع، لقد أخبرته بقصة ذات مغزًى أخلاقي.»

فقالت البطة: «أوه! إن فعل ذلك دائمًا ما يكون شيئًا خطيرًا.» وأنا أتفق معها تمامًا في ذلك.

الصاروخ الاستثنائي

كان ابن الملك على وَشْك الزواج، لذا شاع فرح عام. فقد انتظر عروسه سنةً كاملة، وقد وصلت أخيرًا. هي أميرة روسية، وقد انطلقت من فنلندا في عربة زَلَّاجة يجرُّها ستة أيائل. والعربة الزَّلَّاجة على شكل بجعة ذهبية ضخمة، وبين أجنحة البجعة تجلس الأميرة الصغيرة، وعباءتها الطويلة المصنوعة من فرو حيوان القاقوم تصل إلى قدمَيها، وعلى رأسها قبعة صغيرة مصنوعة من نسيج فضيٍّ، وكانت شاحبة البشرة تمامًا كقصر الثلج الذي كانت تعيش فيه دائمًا. شديدة الشحوب حتى إنها كلَّما مرَّت بالشوارع، تَعَجَّبَ الناس كلهم، وصاحوا قائلين: «إنها تشبه وردةً بيضاء.» وألقوا عليها الزهور من الشُّرُفات.

عند باب القلعة كان الأمير ينتظر ليستقبلها. له عينان بنفسجيتان حالمتان، وشعره كالذهب الخالص. وعندما رآها، جَثَا على ركبة واحدة وقبَّل يدها.

وهمس قائلًا لها: «كانت صورتك جميلة، ولكنَّك أجمل من الصورة.» فتورَّد وجه الأميرة خجلًا.

قال خادم يافع لَمَن بجواره: «لقد كانت من قبل تشبه وردةً بيضاء، أمَّا الآن فهي تشبه وردةً حمراء.» وعمَّت السعادة في البلاط بأكمله.

على مدى الأيام الثلاثة التالية، ظلَّ الجميع يردِّد الوصفَين؛ «الوردة البيضاء» و«الوردة الحمراء» باستمرار، وأصدر الملك أوامر بمضاعفة راتب الخادم. ولكن بما أنه لم يكن يتلقَّ أيَّ راتب على الإطلاق، فلم يكن ذلك ذا نفع له، ولكنه اعتُبر شرفًا عظيمًا، ونُشِرَ الخبر على الفور في جريدة القصر.

انتهى الاحتفال بالزواج بمرور الأيام الثلاثة، وقد كان احتفالًا مهيبًا، وسارت العروس وعروسها عاقدَين أيديَهما سويًّا تحت سرادق من المخمل الأرجواني المطرَّز باللؤلؤ الصغير.

ثم أُقيمت مَأْدُبة رسمية استمرَّت خمس ساعات، جلس فيها الأمير والأميرة في مقدِّمة القاعة الكبرى، وشربا من كوب من الكريستال الشَّفَّاف. لا يمكن أن يشرب من هذا الكوب سوى عاشقَين حقيقيَّين؛ لأنه إذا لمسته شفاه خادِعة، يصبح رماديًّا مُعتمًا وغائمًا.

قال الخادم الصغير: «من الواضح تمامًا أنهما يحبُّ كلٌّ منهما الآخر، هذا واضح كالشمس.» فضاعف الملك راتبه مرةً ثانية. صاح جميع رجال الحاشية قائلين: «يا له من شرف!»

بعد المأدبة أُقيم حفل راقص. العروس وعروسه سيرقصان فيها رقصة الوردة معًا، والملك قد وعد بأن يعزف على الفلوت. عزف الملك كان سيئًا للغاية، ولكنَّ أحدًا لم يجرؤ على إخباره بذلك، فهو الملك. في الواقع، لم يكن الملك يعرف سوى لحنَين، ولم يكن متأكِّدًا تمامًا أيَّهما كان يعزف؛ ولكن لم يكن ذلك مهمًّا، فمهما فعل كان الجميع يصيحون قائلين: «بديع! بديع!»

كانت آخر فقرة في برنامج الحفل هي عرض كبير للألعاب النارية، ومن المقرَّر أن يبدأ في منتصف الليل تمامًا. لم يسبق للأميرة الصغيرة أن شاهدت أيَّ ألعاب نارية في حياتها؛ لذا أصدر الملك أمرًا بأن يكون اختصاصي الألعاب النارية الملكي حاضرًا في يوم زواجها.

سألت الأميرة الأمير ذات صباح بينما كانت تتمشى في الشُّرفة: «كيف تبدو الألعاب النارية؟»

فقال الملك، الذي كان دائمًا ما يجيب على أسئلة تُوَجَّه لأشخاص آخرين: «إنها كالأضواء القطبية الشمالية، ولكنها طبيعية أكثر. أنا شخصيًّا أفضِّلها على النجوم، إذ إنكِ تعلمين دائمًا متى ستظهر، وهي مبهجة تمامًا كعزفي على الفلوت. لا بد أن ترَيْها بالتأكيد.»

وهكذا نُصِبَت منصة كبيرة في نهاية حديقة الملك، وبمجرَّد أن وضع اختصاصي الألعاب النارية الملكي كل شيء في مكانه، بدأت الألعاب النارية تخاطب بعضها بعضًا.

صاحت مُفرقَعة صغيرة قائلة: «إن العالم مكان جميل بلا شك. انظروا إلى زهور التيوليب الصفراء هذه. يا إلهي! لو كانت مُفرقَعات نارية حقيقية، لما بدت أشدَّ جمالًا. أنا سعيدة جدًّا أنني قد سافرت، فالسفر ينمِّي العقل بصورة رائعة، ويقضي على جميع الأحكام المُسبَقة التي تكون لدى المرء.»

ردَّت شمعة رومانية كبيرة قائلةً: «إن حديقة الملك ليست هي العالم، أيَّتها المُفرقَعة الحمقاء. العالم مكان شاسع، وستحتاجين ثلاثة أيام لترَيْه بأكمله.»

هتفت مُفرقَعة دوَّارة عميقة التأمل كانت متعلقةً بصندوق خشبي قديم في بداية حياتها، وكانت تتباهى بقلبها المُحطَّم: «أيُّ مكان تحبُّه هو بمنزلة العالم لك، ولكن الحبَّ

لم يَعُد رائجًا كما كان، فقد قتله الشعراء. لقد كتبوا كثيرًا عنه حتى إن أحدًا لم يَعُد يصدِّقهم، وأنا لستُ مندهشةً؛ فالحب الحقيقي يعاني، وهو حب صامت. أتذكَّر نفسي في مرَّة من المرات ... ولكن هذا لا يهم الآن، فالرومانسية شيء من الماضي.»

قالت الشمعة الرومانية: «هُراء! الرومانسية لا تموت أبدًا. إنها كالقمر، وتعيش إلى الأبد. فالعروس وعروسه، على سبيل المثال، يحبُّ كل منهما الآخر بشدة. لقد سمعت قصتهما كاملة هذا الصباح من خرطوشة ورقية بُنِّيَّة تصادَف أنها كانت مقيمةً في نفس الدُّرْج الذي كنتُ فيه، وكانت تعرف آخر أخبار البلاط الملكي.»

ولكن المُفرقَعة الدوَّارة هزَّت رأسها رفضًا، وهمهمت قائلةً: «لقد ماتت الرومانسية، ماتت، لقد ماتت.» لقد كانت واحدةً من أولئك الذين يعتقدون أنك إذا قلتِ شيئًا وكرَّرتِه مرةً تِلْو الأخرى، يصبح هذا الشيء صحيحًا في النهاية.

فجأة سُمِعَ صوت سُعال حادٍّ جافٍّ، فالتفت الجميع ونظروا حولهم.

جاء الصوت من صاروخ طويل متعجرف، كان مربوطًا في نهاية عصا طويلة. كان يسعل دائمًا قبل أن يُدلي بأي ملاحظة، ليلفت الانتباه.

«إحم، إحم!» هكذا ابتدر قائلًا، فأنصت الجميع ما عدا المُفرقَعة الدوَّارة المسكينة التي ظلَّت تهزُّ رأسها، وتتمتم قائلةً: «لقد ماتت الرومانسية.»

صاح مُفرقَع ناري قائلًا: «هدوء! هدوء!» كان سياسيًّا نوعًا ما، وكان دائمًا ما يلعب دورًا بارزًا في الانتخابات المحليَّة، لذا كان يعرف التعبيرات البرلمانية المناسبة التي يتعيَّن عليه استخدامها.

همست المُفرقَعة الدوَّارة قائلةً: «ماتت تمامًا.» ثم خلدت إلى النوم.

حالما عمَّ الصمت التام، سَعَل الصاروخ مرةً ثالثة وشرع في الحديث. تحدَّث ببطءٍ وبصوت مميَّز، كما لو كان يُملي مذكراته، ودائمًا ما كان ينظر فوق كتف مَن يتحدَّث إليه. في الواقع، كان أسلوبه مميَّزًا للغاية.

عَلَّقَ قائلًا: «كم كان ابن الملك محظوظًا أن يتزوَّج في نفس اليوم الذي أُطلِقتُ فيه. في الواقع، لو كان الأمر قد رُتِّب مُسبقًا، لما كان ممكنًا أن يئول إلى أفضل ممَّا هو عليه الآن، ولكن الأمراء محظوظون دائمًا.»

قالت المُفرقَعة الصغيرة: «يا إلهي! لقد اعتقدتُ العكس تمامًا، إذ كنت أظن أننا سَنُطلَق على شرف الأمير.»

فأجاب الصاروخ قائلًا: «قد يكون الأمر كذلك في حالتك، وفي الواقع، أنا لا أشكُّ أنه كذلك بالفعل؛ أمَّا في حالتي، فالأمر مختلف. أنا صاروخ استثنائي، وأتيتُ من أبويَن

استثنائيَّين، فقد كانت والدتي هي أشهر مُفرقَعة دوَّارة في زمنها، وكانت تُشتَهر برقصها الجميل. عندما كانت تخرج إلى العلن، كانت تدور تسع عشرة مرةً قبل أن تنطفئ، وفي كل مرة، كانت تقذف في الهواء بسبع نجمات وردية. كان قطرها ثلاثة أقدام ونصف القدم، وكانت مصنوعةً من أجود أنواع البارود. أمَّا أبي، فقد كان صاروخًا مثلي، وكان من أصل فرنسي. كان يطير عاليًا حتى إن الناس كانوا يخشون ألَّا ينزل مرة أخرى. ولكنه كان ينزل على الرغم من ذلك، لأنه كان لطيف السجايا، وكان نزوله هو الأروع على الإطلاق، إذ كان يهبط وسط زَخَّة من مطر ذهبي. كتبت الصحف عن أدائه بإطراءٍ ومديح، وفي الواقع، قالت عنه الجريدة الملكية إنه انتصار لفن الألعاب النيرية.»

صحَّحه المشعل البنغالي قائلًا: «تقصد فن الألعاب النارية، النارية. أعلم أنه يُسمَّى فن الألعاب النارية، فقد رأيتُ هذه الكلمة مكتوبةً على عُلبَتي.»

فردَّ الصاروخ بلهجة حادَّة قائلًا: «حسنًا، أنا قلت النيرية.» فشعر المشعل البنغالي بالانكسار حتى إنه شرع على الفور في مضايقة المُفرقَعات الصغيرة؛ ليُظهِرَ أنه لا يزال شخصًا له بعض الأهمية.

أردف الصاروخ قائلًا: «كنتُ أقول ... كنتُ أقول ... ما الذي كنتُ أقوله؟»

فقالتِ الشمعة الرومانية: «لقد كنتَ تتحدَّثُ عن نفسك.»

«بالطبع، أعرف أنَّني كنتُ أناقش موضوعًا مُشوِّقًا عندما قوطعتُ بوقاحة بالغة. إنني أكره الوقاحة والأخلاق السيئة بكل أشكالها، لأنني حسَّاسٌ للغاية. لا يوجد أحد في العالم بأَسْرِه على نَفْس قَدْر حساسيتي، وأنا متأكِّد من ذلك.»

فسأل المُفرقَع الناري الشمعةَ الرومانية: «ما هو الشخص الحسَّاس هذا؟»

فأجابت الشمعة الرومانية هامسةً: «إنه الشخص الذي يُعاني من ثآليل في قَدَمه، لذا دائمًا ما يدوس على أصابع الآخرين.» فانفجر المُفرقَع الناري ضاحكًا.

تساءل الصاروخ قائلًا: «من فضلكم، علامَ تضحكون؟ أنا لا أمزح.»

فأجاب المُفرقَع الناري قائلًا: «أنا أضحك لأنني سعيد.»

قال الصاروخ بغضب: «هذا سبب أنانيٌّ للغاية. ما الذي يمنحك الحق لتكون سعيدًا؟ لا بد أن تفكِّر في الآخرين. في الواقع، يجب أن تفكر فيَّ. دائمًا ما أفكِّر في نفسي، وأتوقَّع من الآخرين أن يفعلوا الشيء نفسه. هذا هو ما يُسمَّى بالتعاطف؛ إنها فضيلة جميلة، وأنا أتمتَّع بها بدرجة عالية. لنفترض — على سبيل المثال — أن خَطْبًا ما لَحِق بي الليلة، فكَمْ سيمثِّل ذلك من سوء حظ للجميع! لن يكون الأمير والأميرة سعداء أبدًا مرة أخرى، فسوف

تفسد حياتهما الزوجية بأكملها؛ أمَّا الملك، فأعلم أنه لن يتجاوز الأمر. في الواقع، عندما أبدأ في التفكير في أهمية وضعي، أكاد أجهش بالبكاء.»

صاحت الشمعة الرومانية قائلة: «إن كنتَ تريد أن تُسعد الآخرين، فلا بد أن تُبقي نفسك جافًّا.»

هتف المشعل البنغالي، الذي كان الآن في حالة معنوية أفضل، قائلًا: «بالتأكيد، هذا أمر بديهي.»

ردَّ الصاروخ بسخطٍ قائلًا: «بديهي، بالفعل! ولكنك نسيت أنني غير عاديٍّ جدًّا، واستثنائيٌّ جدًّا. يا إلهي! يمكن لأي شخص أن يمتلك المنطق البديهي، شريطة أن يفتقر إلى الخيال. ولكنني أتمتَّع بالخيال، فأنا لا أفكر أبدًا في الأشياء كما هي؛ ودائمًا ما أفكِّر فيها باعتبارها مختلفة تمامًا. أمَّا بشأن الحفاظ على نفسي جافًّا، فمن الواضح أنه لا يوجد أي أحد هنا يمكنه تقدير الطبيعة العاطفية على الإطلاق. ولحُسْن حظي أنني لا أهتم. الشيء الوحيد الذي يساعد المرء طوال رحلة حياته هو الوعي بدونية الآخرين الشديدة، وهو الشعور الذي كنت أُصْقِل به نفسي دائمًا. ولكنكم عديمو الشعور. فها أنتم تضحكون وتمرحون كما لو أن الأميرة والأمير لم يتزوَّجا لتوِّهما.»

صاحت بالونة نارية صغيرة مندهشةً: «حسنًا، حقًّا، لِمَ لا؟ إنها مناسبة سعيدة جدًّا، وعندما أرتفع في الهواء، أعتزم أن أُخْبِر عنها النجوم. سترَوْنها تتلألأ عندما أتحدَّث إليها عن العروس الجميلة.»

قال الصاروخ: «أوه! يا لها من رؤية تافهة للحياة! ولكن هذا هو ما توقَّعته تمامًا. أنتِ فارغة من كل شيء، جوفاء وفارغة. ربما يذهب الأمير والأميرة للعَيْش في بلد به نهر عميق. ولعلَّهما ينجبان ابنًا واحدًا فقط؛ صبيًّا صغيرًا ذا شعر أشقر وعيون بنفسجية مثل الأمير نفسه؛ وربَّما يخرج في يوم ما مع مربِّيته التي قد تخلد إلى النوم تحت شجرة بَلَسان كبيرة؛ وعندئذٍ، قد يسقط الولد الصغير في أعماق النهر ويغرق. يا لها من مصيبة رهيبة! كم هما مسكينان أن يفقدا ابنهما الوحيد! إنه حقًّا شيء مُرَوِّع إلى أقصى درجة! لن أتجاوزه أبدًا.»

قالت الشمعة الرومانية: «لكنهما لم يفقدا ابنهما الوحيد، ولم تحدث لهما أي مصيبة على الإطلاق.»

فأجاب الصاروخ: «لم أَقُل قطُّ إن ذلك قد حدث لهما. قلتُ إنه ربما قد يحدث. إذا فقدا ابنهما الوحيد، فلن تكون هناك فائدة في قول أيِّ شيء آخر عن الموضوع. إنني أكره الناس

الذين يبكون على اللَّبن المسكوب. ولكن عندما أفكِّر في أنهما قد يفقدان ابنهما الوحيد، فإنني أتأثَّر بشدة بالتأكيد.»

صاح المشعل البنغالي قائلًا: «بالتأكيد! في الواقع أنت الشخص الأكثر تأثُّرًا الذي قابلتُه على الإطلاق.»

ردَّ الصاروخ قائلًا: «وأنت أوقح مَن قابلت على الإطلاق، ولا يمكنك أن تفهم صداقتي للأمير.»

قالت الشمعة الرومانية بتذمُّر: «يا إلهي! إنك لا تعرفه أصلًا!»

أجاب الصاروخ: «لم أَقُل قط إني أعرفه، وأجرؤ على القول إنني إن عرفته، فلن أكون صديقه أبدًا. إنه لأمر شديد الخطورة أن يعرف المرء أصدقاءه.»

قالت البالونة النارية: «من الأفضل أن تُبقي نفسك جافًّا، فذلك هو الأمر المهم.»

ردَّ الصاروخ: «إنه مهم جدًّا لكِ، ليس لديَّ أدنى شك، ولكنني سأبكي إن اخترتُ ذلك.»

وانفجر باكيًا وتدفَّقت دموع حقيقية على عصاه كقطرات المطر، وكاد يُغرِق خنفستَين صغيرتَين كانتا تفكِّران للتوِّ في بناء منزل سويًّا، وكانتا تبحثان عن مكان جافٍّ لطيف لتعيشا فيه.

قالت المُفرقَعة الدوَّارة: «إن لديه طبيعة رومانسية بحقٍّ، فهو يبكي عندما لا يكون ثَمَّة ما يستدعي البكاء على الإطلاق.» ثم تنهَّدت بعمق وفكَّرت في الصندوق الخشبي.

لكنَّ الشمعة الرومانية والمشعل البنغالي كانا ساخطَين بشدَّة، وظَلَّا يردِّدان بأعلى صوتَيهما: «هراء! هراء!» كانا عمليَّين للغاية، وكلَّما اعترضا على أيِّ شيء كانا يُسمِّيانه هراءً.

ثم بزغ القمر كدِرْع فضيٍّ رائع؛ وبدأتِ النجوم تتلألأ، وأقبل صوت موسيقى من القصر.

كان الأمير والأميرة يقودان الرقص. كان رقصهما جميلًا جدًّا حتى إن الزنابق البيضاء الطويلة أطلَّت برأسها من النافذة لتشاهدهما، وحرَّك الخَشْخاش الأحمر رأسه، وضبط حركته مع الإيقاع.

دقَّت الساعة العاشرة، ثم الحادية عشرة، ثم الثانية عشرة، وعند آخر دقَّة من دقات منتصف الليل خرج الجميع إلى الشُّرفة، وأرسل الملك في طلب اختصاصي الألعاب النارية الملكي.

قال الملك: «لتبدأ الألعاب النارية.» فانحنى له اختصاصي الألعاب النارية الملكي انحناءةً كبيرة، ومشى إلى نهاية الحديقة. كان معه ستة مساعدين، يحمل كل منهم عصا طويلة في نهايتها شُعلة موقدة.

كان مشهدًا رائعًا بلا شك.

سُمِعَ صوت أزيز، إذِ انطلقت المُفرقَعة الدوَّارة، وأخذت تدور وتدور. انطلقت الشمعة الرومانية، مُحدِثة دويًّا. ثم تراقصت المُفرقَعات النارية في كل مكان، بينما جعل المشعل البنغالي كل شيء يبدو قرمزيًّا. صاحت البالونة النارية بينما كانت ترتفع لأعلى: «وداعًا إذن.» وأسقطت شرارات زرقاء صغيرة. بوم! بوم! هكذا أجابت المُفرقَعات النارية التي كانت مستمتعةً بشدَّة. نجح الجميع نجاحًا عظيمًا فيما عدا الصاروخ الاستثنائي. كان مُبتَلًّا بالدموع لدرجة أنه لم يتمكَّن من الانطلاق نهائيًّا. كان البارود هو أفضل شيء فيه، ولكن البارود كان مُبتَلًّا بالدموع حتى إنه لم يعد يُجدي نفعًا. انطلق كل أقرانه المتواضعين، الذين لم يتحدث إليهم قط إلا بسخرية، نحو السماء كورود ذهبية رائعة ذات براعم نارية. صاح أفراد البلاط بدهشة؛ وضحكت الأميرة الصغيرة بسرور.

قال الصاروخ: «أعتقد أنهم يدَّخرونني لحدث كبير، هذا هو ما يعنيه الأمر بلا شك.» وبدا أكثر تَغطرُسًا من أي وقت مضى.

في اليوم التالي، جاء العُمَّال لينظِّفوا المكان ويرتِّبوه. فقال الصاروخ: «من الواضح أن هذا وفدٌ، سأقابلهم بترفُّع لائق.» فرفع أنفه عاليًا وبدأ يعبس بشدة كما لو كان يفكِّر في أمرٍ مهم للغاية. ولكنهم لم يلاحظوه على الإطلاق إلا عندما كانوا على وشك الرحيل. عندئذ التفت أحد العمال لوجود الصاروخ، وصاح قائلًا: «أوه! يا له من صاروخ رديء.» وألقى به من فوق الحائط فسقط في حفرة.

قال الصاروخ وهو يدور في الهواء: «صاروخٌ رديءٌ؟ صاروخٌ رديءٌ؟ مستحيل! صاروخٌ رائعٌ، هذا هو ما قاله الرجل. كلمة رديء تشبه كلمة رائع كثيرًا، في الواقع إنهما تبدوان متماثلتين تمامًا!» ثم سقط في الوحل.

أردف قائلًا: «إن المكان غير مريح هنا، ولكن لا شكَّ أنها بِرْكة راقية، وأنهم قد أرسلوني إلى هنا لأستعيد صحتي، فأعصابي أُرهِقَت كثيرًا، وأحتاج إلى الراحة.»

بعد ذلك، سَبَحَ تجاهه ضفدع صغير ذو عينَين لامعتَين كالجواهر وجِلْد أخضر مُرقَّش.

قال الضفدع: «وافدٌ جديد كما أرى! حسنًا، لا يوجد ما هو أفضل من الطين على أيَّة حال. أعطني طقسًا ممطرًا وحفرة وسأكون في غاية السعادة. هل تعتقد أن الطقس بعد ظهر اليوم سيكون رطبًا؟ آمُلُ ذلك بشدة، ولكن السماء زرقاء وصافية تمامًا، يا خسارة!»

قال الصاروخ: «إحم! إحم!» وبدأ يسعل.

صاح الضفدع قائلًا: «إن صوتك مُبهِج! في الواقع إنه يشبه كثيرًا النقيق، والنقيق بلا شك هو أكثر الأصوات موسيقيةً في العالم. ستسمع نادي الغناء الخاص بنا هذا المساء. نجلس في بِرْكة البط القديمة بالقرب من منزل المُزارِع، وما أن يبزغ القمر حتى نبدأ في الغناء. إنه غناء خَلَّاب للغاية، لدرجة أن الجميع يبقون مستيقظين للاستماع إلينا. في الواقع، أمس فقط سمعت زوجة المُزارع تقول لأمِّها إنها لم يغمض لها جفنٌ في المساء بسببنا. إنه أمر ممتع أن يجد المرءُ نفسَه يتمتَّع بشعبية كبيرة.»

قال الصاروخ بغضب: «إحم! إحم!» كان منزعجًا بشدة لدرجة أنه لم يستطع أن ينبس ببِنْت شَفَة.

أكمل الضفدع قائلًا: «صوت مبهج بكل تأكيد! أتمنَّى أن تزور بِرْكة البط. سأذهب للبحث عن بناتي، لديَّ سِتُّ بنات جميلات، وأخشى أن تقابلهُنَّ في الطريق سمكة الكراكي. فهي وحشية تمامًا ولن تتردَّد في أن تلتهمهن على الفطور. حسنًا، إلى اللقاء، لقد استمتعتُ بلا شك بمُحادثَتِنا كثيرًا.»

ردَّ الصاروخ: «مُحادَثَة! يا لها من مُحادَثة! لقد تحدَّثت طوال الوقت، تلك ليست مُحادَثة!»

فأجاب الضفدع: «لا بُدَّ أن يستمع شخص ما، وأنا أحب أن أتحدَّث طوال الوقت، فذلك يوفِّر الوقت ويمنع الجدال.»

قال الصاروخ: «ولكنني أحب الجدال.»

قال الضفدع بلا مبالاة: «ليتك لم تكن. الجدال سوقيٌّ للغاية؛ إذ إنه في المجتمع الصالح يتوافق الجميع في الرأي. إلى اللقاء مرةً ثانية؛ فأنا أرى بناتي بعيدًا.» وسبح الضفدع الصغير مبتعدًا.

فقال الصاروخ: «أنت شخص مزعج بشدة وقليل الأدب للغاية. أكره الناس الذين يتحدَّثون عن أنفسهم مثلك، عندما يرغب المرء في التحدُّث عن نفسه، مثلي. إن هذا ما أدعوه أنانيةً، والأنانية شيء مقيت إلى أبعد حدٍّ، وخاصةً بالنسبة إلى شخص له مثل طبيعتي، فأنا معروف بطبيعتي العطوفة. في الواقع، لا بد أن تحذُوَ حَذْوي؛ فلن تجد مثالًا يُحتذى به

أفضل مني. وبما أن لديك الفرصة، فمن الأفضل أن تستغلَّها، لأنني سأعود إلى البلاط على الفور، تقريبًا. أنا من أكثر المُفضَّلين لدى البلاط، بل في الواقع، لقد تزوَّج الأمير والأميرة بالأمس على شرفي. ولكنك بالطبع لا تعرف شيئًا عن هذه الأمور لأنك قرويٌّ ساذَجٌ.»

قال اليَعْسوب الذي كان يجلس على قِمَّة نبات بردي ضخم: «لا فائدة من الحديث معه، لا فائدة على الإطلاق، فقد ذهب بعيدًا.»

أجاب الصاروخ: «حسنًا، هو الخاسر وليس أنا. لن أتوقَّف عن التحدُّث إليه لمجرَّد أنه لا يعير انتباهًا. أحب سماع نفسي أتحدَّث، إنها واحدة من أكبر متعي. عادةً ما أتحدَّث طويلًا مع نفسي، وأنا ذكيٌّ لدرجة أنني أحيانًا لا أفهم كلمة واحدة مما أقوله!»

فقال اليَعْسوب: «إذن ينبغي بالتأكيد أن تحاضِرَ في الفلسفة.» ثم فرد جناحَيه الشَّفَّافَين الرقيقَين وحلَّق بعيدًا في السماء.

قال الصاروخ: «كم هو سخيف منه ألَّا يبقى هنا، أنا متأكد من أنه لم يتسنَّ له كثيرًا الحصول على فرصة كهذه لتوسيع مداركه. ومع ذلك، أنا لا أهتم بتاتًا، فعبقري مثلي سيصبح موضع تقدير في يوم ما.» ثم غاص في الوحل أعمق قليلًا.

بعد مرور بعض الوقت، سبحت نحوه بطة بيضاء كبيرة. كان لها رجلان صفراوان، وقدمان مُكفَّفان، وتُعتَبر رائعة الجمال بسبب تبخترُها.

قالت البطة: «كاك! كاك! كاك! إن شكلك غريب للغاية! إن سمحت لي بالسؤال، هل وُلِدْت بهذا الشكل أم أنه نتيجة لحادث ما؟»

فأجاب الصاروخ قائلًا: «من الواضح تمامًا أنكِ كنتِ تعيشين في الريف دائمًا، وإلا كنتِ ستعرفين مَن أنا. ومع ذلك، فأنا أعذر جهلكِ. من الظلم أن يتوقَّع المرء أن يكون الآخرون مميَّزين مثله. لا شك أنكِ ستندهشين عندما تعلمين أنه يمكنني الطيران في السماء ثم الهبوط وسط زَخَّة من الأمطار الذهبية.»

فقالت البطة: «لا أرى أهميةً كبرى لهذا، إذ لا يمكنني أن أستوعب ما فائدة ذلك لأيِّ أحد. أمَّا إن كنت تستطيع حرث الأرض كالثَّوْر، أو جَرَّ العربة كالحصان، أو رعاية الخِراف ككلب الكولي، فسيكون ذلك مفيدًا.»

صاح الصاروخ بنبرة صوت شديدة الغطرسة: «أيَّتها المخلوقة الطيبة، أرى أنك تنتمين إلى الطبقات الدُّنيا. شخصٌ في مكانتي لا يكون مفيدًا أبدًا. لنا إنجازات بعينها، وهذا أكثر من كافٍ. شخصيًّا لا أتعاطف مع أيِّ شكل من أشكال العمل الشاق، وخاصة مع نوعيات

العمل الشاق التي يبدو أنكِ تقترحينها. في الحقيقة، إنني دومًا ما كنت أُومِن بأن العمل الشاق هو ببساطة ملاذ الأشخاص الذين ليس لديهم شيء يفعلونه.»

قالت البطة المسالمة التي كانت شخصيةً مسالمة جدًّا، ولم تتشاجر مع أيِّ أحدٍ قطُّ: «حسنًا، حسنًا، كل شخص له ذوق مختلف. آمُلُ، على أيِّ حال، أنك ستقيم هنا.»

صاح الصاروخ قائلًا: «يا إلهي! بالطبع لا! أنا مجرَّد زائر، زائرٌ مميَّز. في الواقع، أجد المكان هنا مُمِلًّا. فلا مجتمعَ راقيًا هنا ولا خصوصيةَ. في الحقيقة، إنه بالأساس ضاحية. سأعود إلى البلاط على الأرجح، لأنني أعلم أنه مقدر لي أن أُحدِثَ أثرًا كبيرًا في العالم.»

عَلَّقَت البطة قائلة: «لقد فكَّرت في دخول الحياة العامة في إحدى المرات. ثَمَّة الكثير من الأمور التي تحتاج إلى إصلاح. في الواقع، لقد تولَّيت رئاسة أحد الاجتماعات منذ فترة، واتَّخذنا قرارات تدين كل شيء لم يكن يعجبنا. ومع ذلك لم تُحدِث هذه القرارات تأثيرًا كبيرًا. أمَّا الآن فقد اخترتُ الحياة المنزلية، والاعتناء بعائلتي.»

قال الصاروخ: «لقد خُلِقتُ من أجل الحياة العامة، وكذا كل أمثالي، حتى أكثرهم تواضعًا. كلَّما ظهرنا، أثرنا اهتمامًا كبيرًا. لم أظهر شخصيًّا بعد، ولكن عندما أفعل، سيكون مشهدًا مهيبًا. أمَّا بالنسبة للحياة المنزلية، فهي تجعل المرءَ يشيخ بسرعة، وتُشتِّت انتباهه عن الأمور الأسمى.»

ردَّت البطة قائلةً: «أوه! الأشياء الأسمى، كم هي جميلة! وهذا يذكِّرني كم أنا جوعانة.» ثم سبحت بعيدًا في جدول الماء، وهي تقول: «كاك! كاك! كاك!»

صرخ الصاروخ قائلًا: «عودي! عودي! لديَّ الكثير لأقوله لكِ.» ولكن البطة لم تُعِرْه انتباهًا. حدَّث الصاروخ نفسه قائلًا: «أنا سعيد أنها ذهبت، فطريقة تفكيرها هي طريقة تفكير الطبقة الوسطى بلا شك.» وغاص أعمق قليلًا في الوحل، وبدأ يفكِّر في الوحدة التي يشعر بها العباقرة، وحينئذٍ أتى فجأة صبيَّان صغيران يرتديان سترات بيضاء، ويركضان حذاءَ ضفة النهر، وهما يحملان إناءً وبعض حُزَم الحطب.

قال الصاروخ وهو يحاول أن يبدو مزهوًّا: «لا بد أنه وفد.»

صاح أحد الأولاد قائلًا: «انظر! انظر إلى هذه العصا القديمة! كيف جاءت إلى هنا يا تُرى؟!» والتقط الصاروخ من الحفرة.

قال الصاروخ: «عصا «قديمة»! مستحيل! عصا «عظيمة.» هذا هو ما قاله. يا له من مديح كبير أن يصفني بأنني عصا عظيمة! في الواقع، لقد خلط بيني وبين أحد أصحاب المقام الرفيع في البلاط الملكي!»

قال الولد الآخر: «لنشعل فيها النار، فسيساعد ذلك في غَلْي الإناء.»

وهكذا كَوَّم الولدان حُزَم الحطب معًا، ووضعوا الصاروخ أعلاها، وأشعلوا النار.

صاح الصاروخ قائلًا: «هذا رائع! سيطلقونني في وَضَح النهار، حتى يتسنَّى للجميع أن يروني.»

قال الولدان: «سنخلد إلى النوم الآن، وعندما نستيقظ سيكون الإناء قد غَلى.» واستلقيا على العشب، وأغلقا عيونهما.

كان الصاروخ رطبًا للغاية، فاستغرق وقتًا طويلًا حتى يشتعل. وأخيرًا، اشتعلت فيه النار.

صاح الصاروخ قائلًا: «الآن سأنطلق.» ثم نصب قامته واستقام: «أعلم أنني سأطير أعلى كثيرًا من النجوم، أعلى كثيرًا من القمر، أعلى كثيرًا من الشمس. في الواقع، سأنطلق عاليًا جدًّا لدرجة ...»

زززز! زززز! زززز! هكذا أزَّ الصاروخ وانطلق مباشرةً إلى أعلى في الهواء.

صاح قائلًا: «يا لها من متعة! سأظل هكذا إلى الأبد، كم أنا ناجح!»

ولكن أحدًا لم يره.

ثم بدأ الصاروخ يشعر بوخزٍ غريب في كل جزء منه.

صاح قائلًا: «سأنفجر الآن! سأُضرِم النار في العالم أجمع، وسأصنع ضَجَّةً كبيرة، حتى إن أحدًا لن يتحدَّث عن أي شيء آخر سواها لمدة عامٍ كامل.» وانفجر الصاروخ فعلًا. بوو! بوو! بوو! انفجر البارود، لم يكن ثَمَّة شك في ذلك.

ولكن لم يسمعه أحد، ولا حتى الولدان الصغيران؛ لأنهما كانا مستغرقَين في نوم عميق.

لم يتبقَّ منه سوى العصا، التي سقطت على ظهر إوَزَّة كانت تتمشى على جانب الحفرة.

صاحت الإوَزَّة قائلة: «يا إلهي! إنها ستمطر عِصِيًّا.» ثم هُرعَت إلى الماء.

قال الصاروخ لاهثًا: «كنت أعلم أني سأُحدِث ضَجَّةً كبيرة.» ثم انطفأ.

هنـــداوي